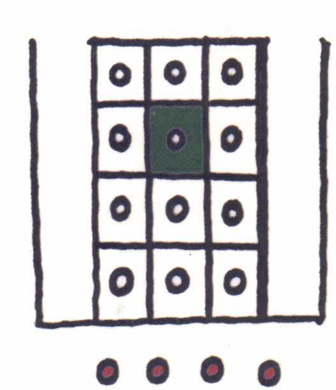


المشروع القومي للترجمة

حكايات شعبية تشيكية

(الكتاب الأول)

ترجمة

عرابي عبد الرحمن الخميسي

1049

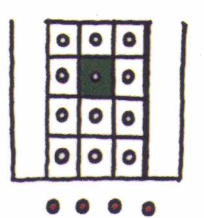
حكايات شعبية تشيكية

(الكتاب الأول)

يضم هذا الكتاب بعض النماذج المتنوعة من الحكايات الشعبية فى التشيك، وتحتوى فى جوهرها على الكثير من مضامين الخير والبطولة، والبحث عن السعادة المنشودة.

فى الحكايات الشعبية التشيكية - مثلها فى ذلك مثل معظم الحكايات الشعبية - تقوم الحيوانات والطيور بأدوار رئيسية فى الأحداث، وتتفاعل معها فى الصراع بين الخير والشر، وهى تتحدث بألسنة البشر وتخاطبهم . فالتعبير عن الحقيقة من خلال الحيوانات يصبح أكثر قوة وإثارة للدهشة من التعبير خارج هذا الإطار الخيالى. كما أن الحكايات التى تتكلم فيها الوحوش والطيور بألسنة الناس تتيح للسارد أن يضع الفكرة الإنسانية فى إطار من الخيال فتصبح الحكاية حقيقية وغير حقيقية فى الوقت نفسه.

على الرغم من سرد تلك الحكايات للكثير من المستحيلات والخوارق التى لاتحدث فى الواقع، فإنها تحمل فى طياتها الكثير من الأفكار البسيطة والعادية، وتنبض بالحقيقة فى جوهرها. فهى دائمًا تنحاز للبسطاء والفقراء من الناس، وتعبر عن أحلامهم وأمانيهم.



تصميم الغلاف: شريف مكى

حكايات شعبية تشيكية

(الكتاب الأول)

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٠٤٩
- حكايات شعبية تشيكية
- عرابى عبد الرحمن الخميسى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٦

هذه ترجمة
مختارات من الحكايات الشعبية التشيكية

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St Opera House, El Gezira, Cairo
Tel.: 7352396 **Fax**: 7358084

المشروع القومى للترجمة

حكايات شعبية تشيكية

(الكتاب الأول)

ترجمة واختيار : عرابى عبد الرحمن الخميسى



٢٠٠٦

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

حكايات شعبية تشيكية ، ترجمة : عرابى عبد الرحمن الخميسى ،
مج ١ / ط ١ - القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٦
١٧٦ ص ، ٢٤ سم ، (المشروع القومى للترجمة)
١ - القصص التشيكية (أ) الخميسى ، عرابى عبد الرحمن (مترجم)
(أ) العنوان

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٢٠٩٢٢
الترقيم الدولى I.S.BN. 977 - 437 - 067 - 8
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

فهرست الحكايات

مقدمة المترجم

تقع جمهورية التشيك فى وسط قارة أوروبا، وهى ملاصقة لجمهورية السلوفاك التى انفصلت عنها فى التسعينيات بعد انهيار الأنظمة الاشتراكية فى روسيا وأوروبا الشرقية، كما أن لها حدودًا مشتركة مع النمسا وألمانيا وغيرهما. ويعيش على أرض التشيك ما يقارب عشرة الملايين نسمة. ويشتهر إقليم بوهيميا الواقع فى غرب التشيك بصناعة أنقى أنواع الكريستال فى العالم، ويمثل الشعب التشيكى جزءًا من العرق السلافى الذى يشمل شعوبًا أخرى كثيرة، مثل شعوب روسيا وبلغاريا وبولندا. وذلك يفسر لنا التشابه فى الكثير من الأساطير والحكايات الشعبية لدى هذه الشعوب؛ حيث إن روافد التراث الشعبى تنبع من مصادر الثقافة السلافية القديمة.

يضم الكتاب بعض النماذج المتنوعة من الحكايات الشعبية فى التشيك، وتحتوى فى جوهرها على الكثير من مضامين الخير والبطولة، والبحث عن السعادة المنشودة.

فى الحكايات الشعبية التشيكية ــ مثلها فى ذلك مثل معظم حكايات الشعوب– تقوم الحيوانات والطيور بأدوار رئيسية فى الأحداث، وتتفاعل معها فى الصراع بين الخير والشر. وهى تتحدث بألسنة البشر وتخاطبهم، فالتعبير عن الحقيقة من خلال الحيوانات يصبح أكثر قوة وإثارة للدهشة من التعبير خارج هذا الإطار الخيالى، كما أن الحكايات التى تتكلم فيها الوحوش والطيور بألسنة الناس تتيح للسارد أن يضع الفكرة الإنسانية فى إطار من الخيال، فتصبح الحكاية حقيقية وغير حقيقية فى الوقت نفسه.

على الرغم من سرد تلك الحكايات للكثير من المستحيلات والخوارق التى لا تحدث فى الواقع، فإنها تحمل فى طياتها الكثير من الأفكار البسيطة والعادية، وتنبض بالحقيقة فى جوهرها، فهى تنحاز دائمًا للبسطاء والفقراء من الناس، وتعبر عن أحلامهم وأمانيهم.

لا تعرف الحكايات الشعبية محنًا أو مصائب لا يمكن التغلب عليها وتجاوزها، فالأبطال ينتصرون دائمًا، ذلك لأن واضعى الحكايات القدماء كانوا يحلمون دائمًا بسيادة العدل والسعادة، وزوال الظلم والاستبداد، وبأن يلقى الأشرار جزاءهم فى النهاية. ولا تعجز الحكايات أبدًا عن إيجاد الحلول لكل المحن والمآسى الإنسانية، فنراها تلجأ للحلول السحرية والخارقة فى حل معضلات البشر.

وكثيرًا ما تبدل الحكايات من حال الفقراء والفلاحين؛ فنرى المعدم يرتدى ملابس الأمراء، والفلاح يصبح حاكمًا على البلاد، فهى تخلق عالمًا خياليًا موازيًا للواقع الصعب للشعوب، وذلك فى مزج رائع بين الحقيقة والخيال، وبين المعجزات والواقع، يفيض بروح الصدق والحب، والصراع الدائم من أجل العدالة. وهنا تكمن القيمة الاجتماعية للحكايات الشعبية.

عرابى عبد الرحمن الخميسى

الطائر النارى والثعلب العجيب



فى قديم الأزمان، كان يعيش ملك يحكم البلاد، وكان للملك بستان كبير رائع الجمال، يفيض بأنواع كثيرة ونادرة من الأشجار، لكن أندرهم جميعًا كانت شجرة تفاح تقف فى منتصف البستان؛ فقد كانت الشجرة تطرح فى كل يوم تفاحة واحدة

ذهبية، ففى الفجر تتفتح الثمرة الصغيرة، وتنمو فى أثناء النهار حتى تنضج فى المساء، وفى الفجر التالى تتفتح ثمرة أخرى.

حتى جاء وقت من الأوقات، أصبحت الثمار فيه تختفى من على الشجرة فى أثناء الليل، ولم يستطع أحد أن يمسك بسارق الثمار، لذلك صار الملك دائمًا يسير عابسًا حزينًا. وذات مرة طلب الملك ابنه الأكبر وقال له:

ــ أريدك أن تخرج الليلة لحراسة البستان، ولو استطعت أن تعرف سارق التفاح، فلن أدخر شيئًا من ثروتى لأكافئك، أما لو نجحت فى الإمساك باللص، فسوف أهبك نصف المملكة.

وضع الأمير سيفه فى غمده، ثم حمل قوسه على كتفه، وملأ جرابه ببعض السهام الحادة. وعند حلول الظلام، خرج إلى الحديقة للحراسة، جلس الأمير تحت شجرة التفاح منتظرًا. لكنه لم يبق متيقظًا لفترة طويلة. فسرعان ما داهمه النعاس، ولم يستطع أن يقاومه، فتدلت ذراعاه على العشب، وأغلق عينيه. وراح فى نوم عميق حتى نهار اليوم التالى، وعندما استيقظ من نومه كانت التفاحة قد اختفت من على الشجرة.

سأله الملك قائلاً: هل رأيت اللص؟

أجاب الأمير: لم يأت أحد على الإطلاق؛ أما التفاحة فقد اختفت من تلقاء نفسها.

أشاح الملك برأسه غير مصدق، ثم طلب الابن الأوسط وقال له:

ــ ولدى العزيز، لو استطعت معرفة اللص، فسوف أكافئك بسخاء.

تسلح الأمير الأوسط كما فعل أخوه، وخرج للحراسة فى البستان، لكنه بعد فترة وجيزة غالبه النعاس وراح هو الآخر فى النوم، وعندما استيقظ كانت التفاحة قد اختفت من فوق الشجرة. وفى الصباح سأله الملك:

ــ هل عرفت سارق التفاح؟

أجاب الابن الأوسط:

ــ لم أر أحدًا هناك طوال الليل، ورغم ذلك فإن التفاحة قد اختفت من تلقاء نفسها.

حينئذ قال الابن الأصغر:

ــ اسمح لى يا أبى أن أخرج اليوم للحراسة؛ وذلك كى أعرف كيف تختفى التفاحة الذهبية من تلقاء نفسها.

لكن الملك رد قائلاً:

ــ لا أعتقد يا عزيزى أنك سوف تكتشف شيئًا؛ فأنت ما زلت صغير السن. وإذا كان لأخواك الأكثر خبرة منك لم يكشفا السارق، فكيف تستطيع أنت أن تفعل ما عجزا عنه؟ ولكن إن أردت الذهاب فلك هذا.

وعند حلول الظلام، ذهب ابنه الأصغر للحراسة، وحمل معه أيضًا السيف والقوس وبعض السهام، كما أخذ معه كذلك فروة قنفذ مليئة بالأشواك، ثم جلس تحت الشجرة، ووضع على ركبتيه فروة القنفذ، وذلك حتى تنغزه أشواكها إن غالبه النعاس وسقطت يداه عليها. وعند منتصف الليل حط طائر ذهبى فوق الشجرة، وهمّ بقضم التفاحة، وفى هذه اللحظة انطلق سهم الأمير من جعبته، وأصاب الطائر فى جناحه، فطار الطائر مبتعدًا عن المكان، لكن ريشة ذهبية سقطت منه

على الأرض، وظلت التفاحة سليمة على الشجرة، وفى الصباح سأل الملك ابنه قائلاً:

ــ هيا أخبرنى، هل استطعت القبض على السارق؟

رد الأمير:

ــ كلا! لكنــه كان قريب المنال، وذلك بعد أن حصلت على جزء من ملابسه .

ثم أخرج الأمير الصغير الريشة الذهبية، وحكى لوالده ما جرى.

فرح الملك كثيرًا بالريشة الذهبية؛ فقد كانت فائقة الجمال والروعة، وكانت تشع من جوانبها بنور ساطع، حتى أنه وضعها فى الصالة الملكية ليلاً لتنيرها بمفردها، بلا حاجة لأية مصابيح أخرى. وقال بعض الأتباع من ذوى الخبرة والدراية:

ــ إن هذه الريشة تعود إلى الطائر النارى، وإنها أثمن من كل كنوز المملكة.

ومنذ ذلك الحين لم يحط الطائر النارى فى البستان مجددًا، ولم يختف التفاح الذهبى من على الشجرة مرة أخرى، على الرغم من ذلك لم يعد هناك ما يسعد الملك أو يفرحه؛ فقد كان دائم التفكير فى الطائر النارى. وصار مهمومًا لأن هذا الطائر ليس بحوزته، فتملك الحزن منه حتى شعر بالمرض يسرى فى قلبه. وفى أحد الأيام طلب أبناءه الثلاثة وقال لهم:

ــ أبنائى الأعزاء، أنتم ترون أن المرض يشتد علىَّ يومًا بعد يوم، لكننى على ثقة من شفائى لو أننى سمعت الطائر النارى يغرد فى بستانى، فمن يستطع

منكم أن يحضر لى الطائر النارى حيًّا كى يغرد لى، فسوف أمنحه نصف المملكة، وأجعله خليفتى من بعدى على العرش.

تأهب الأبناء فى الحال للذهاب فى رحلة البحث عن الطائر النارى، ثم قاموا بوداع والدهم الملك، وانطلقوا فى طريقهم حتى وصلوا إلى غابة كبيرة. وساروا فيها فوجدوا أنفسهم أمام مفترق لثلاثة طرق، وهنا تساءل الأخ الأكبر:

ـــ أى من هذه الطرق نسلكها؟

قال الأخ الأوسط: نحن ثلاثة وأمامنا ثلاثة طرق، فليأخذ كل منا طريقًا منها، وعندما نتفرق سوف يصبح من السهل علينا العثور على الطائر النارى.

عندئذ قال الأخ الأكبر:

ـــ لكن، من فينا سوف يبدأ بالاختيار؟

صاح الأخ الأصغر: اختارا أنتما فى الأول، وأنا سوف أسلك الطريق الأخير.

فرح الأخان الكبيران باقتراح أخيهما الصغير، واختار كل منهما طريقًا له؛ ثم قال أحدهما:

ـــ لنترك هنا علامة كى نعرف من يصل أولاً إلى هنا، وكيف سارت الأمور مع الآخرين، وليغرس كل منا فرع شجرة فى الأرض والفرع الذى ينمو يكون إشارة على نجاح صاحبه فى الحصول على الطائر النارى.

نالت الفكرة استحسان الإخوة، فقام كل منهم بغرس فرع أمام الطريق الذى سوف يسلكه؛ ثم تفرقوا بعد ذلك.

انطلق الأخ الأكبر فى طريقه حتى وصل إلى تلة مرتفعة عن الأرض، فتوقف أمامها وترجل من على حصانه تاركًا له العنان ليرعى، ثم جلس على العشب وأخرج ما بحوزته من طعام، وبدأ فى تناول غدائه، فى هذه اللحظة اقترب منه ثعلب عجيب الشكل، وقال له:

ـ أرجوك..أرجوك يا سيدى أعطنى أى شىء آكله أنا الآخر، فإننى أتضور جوعًا.

لكن ما إن لمحه الأمير، حتى شد قوسه، وأطلق سهمه نحوه، ولم يعرف الأمير إن كان أصابه أو لم يصبه؛ فقد اختفى الثعلب من المكان.

وسارت الأمور بالمثل مع الأخ الأوسط، فعندما وصل إلى أحد الحقول الواسعة، جلس فوق العشب يستريح، وأخرج ما فى جعبته من طعام. ثم اقترب منه الثعلب العجيب الجائع، راجيًا أن يعطيه الأمير شيئًا يأكله، وما إن أطلق الأمير سهمه نحو الثعلب، حتى اختفى الثعلب من أمام ناظريه.

أما الأخ الأصغر، فقد توقف أمام مجرى نهر مائى صغير، وقد تملك منه التعب والجوع. فترجل من على حصانه، وجلس على الشاطئ لينال قسطًا من الراحة، وعندما بدأ بتناول طعامه، رأى الثعلب العجيب يقترب منه شيئًا فشيئًا، حتى صار على مقربة منه، ثم قال له:

ـ أرجوك..أرجوك أيها الشاب الطيب، أعطنى شيئًا آكله؛ فإننى أتضور من الجوع. أشفق الأمير على الثعلب، وألقى له بقطعة من اللحم البارد قائلاً:



ـــ اقترب أيها الثعلب العجيب، ولا تخف منى فأنا أرى أنك أكثر جوعًا منى، وما معى من طعام يكفى لكل منا. ثم قام الأمير بتقسيم الطعام إلى نصفين، وأعطى أحدهما للثعلب وأخذ الثانى لنفسه، فأكل الثعلب حتى شبع ثم صاح:

ـ لقد أطعمتنى وأشبعت جوعى، وسوف أرد لك هذا الصنيع، هيا امتطِ جوادك واتبعنى، وسوف أرشدك إلى الوسيلة التى تحصل بها على الطائر النارى.

انطلق الأمير خلف الثعلب الذى مضى أمام الأمير يمهد له الطريق بذيله، فكان يزيح الجبال العالية، ويرفع الوديان المنخفضة، ويقيم الجسور فوق الأنهار. وظل الاثنان فى سيرهم حتى وصلا أمام قصر من البرونز، وهنا قال الثعلب العجيب:

ـ إن الطائر النارى موجود فى هذا القصر، فادخل إلى هناك عندما ينتصف النهار؛ ففى هذا الوقت يكون الحرس نائمين، وعليك ألا تتوقف فى أى من أروقة القصر، وسوف تجد فى الحجرة الأولى اثنى عشر طائرًا أسود فى أقفاص ذهبية، وفى الحجرة الثانية سوف ترى اثنى عشر طائرًا ذهبيًا فى أقفاص خشبية. أما فى الحجرة الثالثة فسوف تعثر على الطائر النارى بجوار قفصين، أحدهما ذهبى والآخر خشبى. فعليك أن تضع الطائر فى القفص الخشبى، وإن فعلت غير ذلك فسوف يحدث مالا تحمد عقباه!

دخل الأمير إلى القصر البرونزى، ووجد كل شىء كما وصفه له الثعلب العجيب، وسار حتى وصل إلى الحجرة الثالثة، فوجد بها الطائر النارى نائمًا. وخفق قلب الأمير من فرط جمال الطائر وروعته. ثم أمسك به، وقام بوضعه داخل القفص الخشبى. بعد ذلك فكر الأمير قليلاً قائلاً فى نفسه: "أيعقل أن يوضع طائر بهذا الجمال فى هذا القفص القبيح؟ إن الطائر النارى يستحق قفصًا ذهبيًا!". ثم قام الأمير بنقل الطائر من القفص الخشبى إلى القفص الذهبي. وما إن أغلق القفص، حتى استيقظ الطائر وبدأ فى الصفير بصوت عال، وفى لمح البصر، ارتفع صوت صفافير الطيور الأخرى تدوى فى الحجرتين الأخريين. وانتبه الحراس عند البوابة

لأصوات الصفافير. فاستيقظوا من نومهم، وقبضوا على الأمير المسكين. وساقوه إلى الملك الذى صاح غاضبًا:

ـ من أنت أيها اللص حتى تواتيك الجرأة، وتتسلل إلى قصرى لتسرق طائرى النارى؟

أجاب الأمير:

ـ أنا لست لصًا يا مولاى، لكننى أتيت كى أقبض على لص تقوم أنت برعايته، فنحن نملك فى حديقة قصرنا شجرة تفاح تطرح تفاحًا ذهبيًا بمعدل تفاحة كل يوم، ويقوم طائرك النارى بسرقة التفاح فى كل ليلة. وقد مرض والدى الملك مرضًا شديدًا أصاب قلبه، ولن يبرأ من مرضه حتى يسمع طائرك النارى يغرد فى بستانه. ولذلك، فإننى أرجوك أن تعطينى إياه.

رد الملك:

ـ تستطيع أن تأخذه لك، بشرط أن تحضر لى بدلاً منه الحصان ذا العرف الذهبى.

عاد الأمير إلى الثعلب وأخبره بما جرى معه، عندئذ قال الثعلب العجيب غاضبًا:

ـ لماذا خالفت نصيحتى وأخذت القفص الذهبى؟

قال الأمير:

ـ لقد أخطأت بالفعل، لكن ذلك لن يغير من الأمر شيئًا. فلا تغضب منى وأخبرنى بما تعرفه عن الحصان ذى العرف الذهبى.

قال الثعلب العجيب: أعرف عنه الكثير، وسوف أساعدك فى الحصول عليه. فامتطِ جوادك واتبعنى.

ثم انطلق الثعلب من جديد يمهد الطريق بذيله أمام الأمير، ويزيل الحواجز والجبال، حتى وصلا أمام قصر مشيد من الفضة. وهنا صاح الثعلب العجيب قائلاً:

ــ إن الحصان ذا العرف الذهبى موجود فى هذا القصر. فادخل إليه عندما ينتصف النهار، فهذا هو الوقت الذى ينام فيه الحراس. وعليك ألا تتوقف فى أى من أروقة القصر، وسوف تجد فى الإسطبل الأول اثنى عشر حصانًا أبيض اللون. على كل منها لجام وسرج من الذهب، وفى الثانى سترى اثنى عشر حصانًا أبيض، فوق كل منها لجام وسرج أسود. وفى الثالث سوف تعثر على الحصان ذى العرف الذهبى. وعلى الحائط بجواره سرجان ولجامان معلقان أحدهما ذهبى والآخر من الجلد، فعليك أن تترك السرج واللجام الذهبيين معلقين فى مكانهما. وخذ الآخرين المصنوعين من الجلد، وإن لم تنتبه إلى ذلك الأمر، فسوف يحدث ما لا تحمد عقباه.

دخل الأمير إلى القصر الفضى، ووجد كل شىء كما وصفه له الثعلب. فسار حتى وصل إلى الإسطبل الثالث، ووجد الحصان ذا العرف الذهبى واقفًا يأكل من معلف فضى. كان الحصان رائع الجمال، حتى أن الأمير لم يستطع النظر إليه طويلاً، ثم أخذ الأمير السرج الجلدى المعلق من فوق الحائط، واللجام الجلدى أيضًا. ووضعهما على الحصان الذى ظل ساكنًا كالخروف. وهنا، نظر الأمير إلى السرج الذهبى المعلق، ورأى اللجام الذهبى المرصع بالأحجار الكريمة، فانبهر بهما، وقال لنفسه:

"هل من المعقول أن أضع هذا السرج القبيح، واللجام الجلدى على حصان بديع مثل هذا الحصان؟ كلا، إن الحصان ذا العرف الذهبى يناسبه سرج ذهبى ولجام ذهبى".

ثم نزع السرج واللجام الجلديين من على الحصان، ووضع مكانهما السرج واللجام الذهبيين. وما إن شعر الحصان بهما، حتى أخذ يصهل بصوتٍ عالٍ، ويرفس الأرض بحوافره. وفى لمح البصر، مضت بقية الخيول بالإسطبلات المجاورة فى الصهيل هى الأخرى، حتى أحدثوا جلبة عالية أيقظت الحراس من نومهم. فأسرعوا بالقبض على الأمير والوقوف به أمام الملك. نظر الملك شذرًا إلى الأمير وقال له:

من أنت أيها الأحمق، حتى تتجرأ وتتسلل داخل قصرى، متخطيًا حراسى كى تسرق حصانى ذا العرف الذهبى؟

أجاب الأمير: لست لصًا يا مولاى الملك، لكننى قمت بهذا العمل رغمًا عنى.

ثم حكى للملك ما حدث معه، وكيف أن ملك القصر البرونزى طلب منه الحصان ذا العرف الذهبى، حتى يعطيه بدلاً منه الطائر النارى. لذلك، فهو يأمل أن يوافق الملك على إعطائه الحصان. وهنا قال له الملك:

يمكنك الحصول عليه، بشرط أن تحضر لى بدلا منه العذراء ذات الشعر الذهبى، التى تسكن القصر الذهبى، الواقع على شاطئ البحر الأسود.

كان الثعلب العجيب ينتظر الأمير فى الغابة، وما إن رآه قادمًا بدون الحصان حتى صاح فيه غاضبًا:

ـ ألم أقل لك من قبل أن تترك السرج الذهبى وتأخذ الجلدى؟ يبدو أننى عبثًا أحاول معك، فليس من الممكن مساعدة من لا يستمع للنصح.

قال الأمير راجيًا: لا تغضب منى أيها الثعلب العجيب، أنا أعترف بخطئى، ولكنى أرجو أن تساعدنى فى هذه المرة.

قال الثعلب: حسنًا، سوف أساعدك مرة أخرى. لكنها المرة الأخيرة، فإذا نفذت ما أقوله لك، يمكنك أن تصلح ما أفسدته بقلة حكمتك. هيا امتطِ جوادك واتبعنى.

ثم انطلق الثعلب مجددًا، وصار يمهد بذيله الطريق أمام الأمير، ويزيل الحواجز والجبال، حتى وصلا إلى القصر الذهبى، الواقع على شاطئ البحر الأسود. عندئذ قال الثعلب:

ـ إن سيدة هذا القصر هى ملكة البحار، ولها من البنات ثلاث، أصغرهن هى ذات الشعر الذهبى، فادخل القصر واطلب من الملكة أن تعطيك إحداهن زوجة لك، وعندما تطلب منك أن تختار بنفسك منهن، عليك اختيار أبسطهن مظهرًا.

رحبت ملكة البحار بالأمير ترحيبًا حارًّا، وبعد أن تقدم لها بطلبه، قامت باصطحابه إلى إحدى الغرف، حيث جلست بناتها الثلاث معًا، وقد كن جميعًا قريبات الشبه الواحدة إلى الأخرى بدرجة كبيرة، حتى أن أحدًا فى العالم لم يستطع أن يميز بينهن. وكن جميعًا على قدر كبير من الحسن والجمال. وبعد أن رآهم الأمير وقف مشدوها بجمالهن. وظل حابسًا أنفاسه من شدة الإعجاب بهن. كما كانت كل منهن تضع غطاءً على رأسها، حتى لا يعرف الناظر إليها لون شعرها. وترتدى كل منهن ملابس مغايرة للأخرى، فقد ارتدت إحداهن شالاً وعباءة

مطرزين بالذهب، وارتدت الثانية شالاً وعباءة مطرزين بالفضة، أما الثالثة فلبست ملابس بيضاء بسيطة.

قالت الملكة: اختر لنفسك ما تريد منهن.

فأشار الأمير إلى ذات الرداء الأبيض قائلا:

ـ أعطنى هذه الفتاة.

صاحت الملكة: أها..إن هذا الاختيار لم ينبع منك. وعليك الانتظار إلى الغد.

لم يستطع الأمير النوم من شدة القلق الذى انتابه، وصار يفكر فى نفسه: "يا ترى، ما الذى سوف يحدث فى الغد؟". ومع بزوغ أول شعاع للشمس، خرج الأمير إلى حديقة القصر، فما إن وطئت قدماه الحديقة، حتى ظهرت أمامه من حيث لا يدرى ذات الرداء الأبيض، وقالت له:

ـ إن أردت اليوم أن تتعرف علىَّ من بين الأخريات، فعليك أن تنتبه جيدًا إلى الذبابة التى سوف تحوم حولى، لتميزنى بها.

ثم اختفت ذات الرداء الأبيض كما ظهرت.

وبعد الظهيرة، اصطحبت الملكة الأمير إلى الغرفة نفسها التى بها الفتيات، وقالت:

ـ لو استطعت أن تتعرف على الفتاة التى اخترتها بالأمس، فسوف تكون من نصيبك. وإن لم تنجح فى التعرف عليها، فلن تخسر سوى رأسك.

وقفت الفتيات الواحدة بجوار الأخرى وكان يصعب التمييز بينهن، كما لو كن توائم، وكانوا جميعًا بالغات الجمال، وقد ارتدين الملابس الثمينة، وانسابت

شعورهن الذهبية البراقة فوق أكتافهن، حتى أن عينى الأمير غامت وزاغت من فرط الهالة المشرقة المحيطة بهن. وبعد مرور لحظات، ألف الأمير النظر إليهم. فلاحظ أن هناك ذبابة صغيرة ذهبية تحوم حول إحداهن، وعلى الفور هتف قائلا:

ــ هذه هى الفتاة التى اخترتها بالأمس.

أصابت الملكة الدهشة من نجاح الأمير فى التعرف على الفتاة. ثم قالت:

ــ على أى حال، لن يمكنك الحصول عليها بهذه البساطة، فعليك أولاً أن تنفذ فى الغد ما أطلبه منك.

فى الصباح الباكر، وقفت الملكة خلف نافذتها، وأشارت للأمير نحو بحيرة كبيرة تقع عند أطراف الغابة، ثم أعطته شبكة ذهبية صغيرة وقالت له:

ــ إن استطعت أن تفرغ ماء البحيرة بواسطة هذه الشبكة قبل حلول المساء فسوف أعطيك ذات الشعر الذهبى، وإن لم تستطع فلن تخسر سوى رأسك.

حمل الأمير الشبكة وسار حزينًا إلى البحيرة. وعندما وصل إليها ألقى بالشبكة فى الماء، ثم سحبها على الشاطئ؛ فصار الماء يتسرب منها ثانية إلى البحيرة، أدرك الأمير أنه لن يستطيع إنجاز ما طلبته الملكة، فجلس محبطًا مهمومًا على حافة البحيرة، ووضع الشبكة بجواره ومضى يفكر فى محنته. وبعد برهة من الوقت ظهرت أمامه مجددًا العذراء ذات الشعر الذهبى وقالت له متسائلة:

ــ لم تجلس حزينًا على هذا النحو؟

رد الأمير:

ـــ وكيف لى أن أفرح وقد بات الحصول عليك من المحال؟ فقد طلبت منى أمك أمرًا صعب المنال.

عندئذ قالت العذراء:

ـــ لا يوجد فى العالم شيء يتعذر على المرء القيام به، فلا تقلق أيها الأمير.

ثم أمسكت الفتاة بالشبكة، وألقت بها فى منتصف البحيرة، فأخذ ماء البحيرة فى الفوران والغليان، وبدأ يتبخر فى الهواء مكونًا سحبًا كثيفة، وما لبثت هذه السحب أن انطلقت مرتفعة من فوق سطح البحيرة، وكست أرجاء الأرض. فانعدمت الرؤية لأبعد من خطوتين. وهنا سمع الأمير وقع خطوات خلفه، وتلفت فرأى الثعلب العجيب ومعه الحصان، وهتف الثعلب يقول:

ـــ خذ الأميرة أمامك على الحصان، وانطلق بلا تأخير.

انطلق الحصان كالسهم فى طريق العودة، عبر الطرق والدروب، والثعلب من ورائه يعيد بذيله الأراضى إلى حالها؛ فكان يهدم الجسور، ويحفر المنخفضات ويقيم المرتفعات، حتى عاد كل شيء إلى سابق عهده. كان الأمير سعيدًا لأبعد الحدود، لأنه استطاع الفوز بالعذراء ذات الشعر الذهبي. لكن الحزن سرعان ما تملك منه، عندما تذكر أنه سوف يتركها لملك القصر الفضى نظير الحصان ذى العرف الذهبى، وأخذ يبطئ فى سيره كلما اقترب من الوصول إلى القصر الفضي. وصار حزنه يزداد أكثر فأكثر. حينئذ قال له الثعلب العجيب:

ـــ أراك مهمومًا حزينًا لأنك سوف تبادل فتاتك الجميلة ذات الشعر الذهبى بالحصان ذى العرف الذهبي، لقد ساعدتك فى أمور كثيرة حتى الآن، ولن أتركك بلا عون فى هذا الأمر أيضًا.

ثم دار الثعلب عدة مرات حول نفسه فى الغابة، وقام بحركات سحرية، تحول على أثرها إلى فتاة بشعر ذهبي، هى صورة طبق الأصل من العذراء التى أتى بها الأمير، ثم صاح الثعلب:

ـ دع فتاتك تنتظر هنا فى الغابة، وخذنى بدلاً منها إلى ملك القصر الفضى كى تقايضنى بالحصان، وبعد أن تحصل عليه، يمكنك الذهاب فى طريقك مع فتاتك.

فرح الملك كثيرًا بالعذراء ذات الشعر الذهبى، وفى الحال أعطى الأمير الحصان ذا العرف الذهبى ومعه السرج واللجام الذهبى أيضًا. ثم أمر بإقامة حفل كبير بمناسبة زفافه إلى العذراء ذات الشعر الذهبى، ودعا إليه الأمراء وعلية القوم فى المملكة. وفى الحفل البهيج، مضى الضيوف فى الأكل والشرب والرقص، وبعد أن انتهوا من تناول الطعام، سأل الملك أحد الضيوف عن رأيه فى عروسه ذات الشعر الذهبى، فرد الضيف قائلاً:

ـ لا يمكن أن تكون هناك من هى أكثر جمالاً منها، لكن عينيها تبدوان لى كعينى الثعلب.

لم يكد الضيف يكمل جملته، حتى تحولت الفتاة العذراء فى الحال إلى الثعلب العجيب، وبقفزة واحدة أصبح خارج بوابة القصر، وانطلق الثعلب يركض خلف الأمير والفتاة ذات الشعر الذهبى، وصار يردم من خلفهم الطرق ويهدم الجسور ويصنع المنخفضات ويقيم الجبال التى سواها من قبل، حتى عاد كل شيء إلى حاله كما كان فى السابق، وعندما لحق الثعلب بهما، كانا على مقربة من القصر البرونزى حيث الطائر النارى، وهنا قال الثعلب:

ـ كم تبدو جميلة الفتاة ذات الشعر الذهبي، وهى راكبة على الحصان ذى العرف الذهبى، ألا تشعر بالأسف أيها الأمير لأنك ستبادل الحصان بالطائر النارى؟

قال الأمير: بالطبع أشعر بالأسف لأجل ذات الشعر الذهبى، وأريدها أن تحتفظ بالحصان، لكننى مضطر لمبادلته بالطائر، كى يستعيد والدى عافيته ويشفى من مرضه.

قال الثعلب:

ـ يمكنك الاحتفاظ بفتاتك وحصانك أيها الأمير، وسوف أحصل لك على الطائر النارى، وكما ساعدتك فى السابق يمكننى تقديم العون لك فى هذه المرة أيضًا.

ثم قام الثعلب بالقفز حول نفسه فى حركات سحرية. وسرعان ما تحول هذه المرة إلى حصان ذى عرف ذهبى، يشبه تمامًا الحصان الذى تجلس عليه ذات الشعر الذهبي. ثم صاح قائلاً:

ـ والآن خذنى إلى ملك القصر البرونزى، وبادلنى بالطائر النارى. وبعد أن تحصل عليه، يمكنك المضى قدمًا فى طريقك.

اغتبط الملك كثيرًا للحصول على الحصان ذى العرف الذهبى، وفى الحال أعطى الطائر للأمير ومعه القفص الذهبى، ثم دعا إلى قصره العديد من السادة والأمراء، كى يتباهى أمامهم بالحصان ذى العرف الذهبى، وعندما سألهم عن رأيهم فى الحصان قال أحدهم مجيبًا:

ـــ إنه حقًا رائع الجمال يا مولاى، ولا يمكن أن يكون هناك حصان أروع منه فى العالم بأسره، لكن ذيله يبدو لى كذيل الثعلب.

وفى لمح البصر انقلب الحصان إلى الثعلب العجيب، وبوثبة واحدة أصبح خارج بوابة القصر، وانطلق فى أثر الأمير وذات الشعر الذهبى، ومضى يردم بذيله الطرق التى سبق ومهدها من قبل، وأخذ يركض كالسهم، حتّى لحق بهما عند المجرى المائى حيث التقى بالأمير لأول مرة. وهنا قال له:

ـــ الآن أصبح لديك أكثر مما كنت تتمنى، فقد حصلت على الطائر النارى والعذراء والحصان، ولم تعد بحاجة إلى، فعد إلى ديارك فى سلام، ولا تتوقف فى أى مكان، وإلا فسوف يحدث لك ما لا تحمد عقباه.

اختفى الثعلب، ومضى الأمير فى طريقه حاملاً فى يده الطائر النارى داخل القفص الذهبى، وبجانبه سار الحصان ذو العرف الذهبى بالسرج واللجام الذهبيين، وعلى صهوته العذراء ذات الشعر الذهبى، وظل الأمير فى سيره حتّى وصل إلى مفترق الطرق الذى افترق عنده مع شقيقيه. وهنا تذكر فروع الشجر التى غرسوها فى الأرض كعلامة لكل منهم أمام طريقه. فوجد الفرعين اللذين غرسهما أخواه قد أصابهما الجفاف. أما العود الذى غرسه بنفسه، فقد نما حتّى أصبح شجرة كبيرة كثيفة الظلال. ففرح كثيرًا بها. ولما كان التعب قد نال من الأمير ومن الفتاة ذات الشعر الذهبى من جراء الرحلة الطويلة، قررا أن يستريحا تحت ظلال هذه الشجرة. فنزل من على حصانه، وساعد ذات الشعر الذهبى على الترجل من على الحصان ذى العرف الذهبى، وربط الحصانين إلى الشجرة، وعلق القفص الذهبى بالطائر النارى فوق أحد فروعها. ولم يمض كثير من الوقت، حتّى غلبهما النعاس وراحا فى نوم عميق.

وفى أثناء نومهما، عاد كل من الشقيقين الكبيرين، وكان الاثنان فارغى الأيدى. تبدو ملامح الخيبة على وجههما، وتقابلا فى المكان نفسه. حيث شاهدا فرعيهما وقد أصابهما الجفاف، ورأوا فرع الأخ الأصغر وقد أصبح شجرة جميلة. ونظرا فشاهدا شقيقهما ينام تحت الشجرة، وبجواره فتاة رائعة الجمال بشعر ذهبى وحصان بعرف ذهبى. كما لمحوا على الشجرة الطائر النارى داخل القفص الذهبى. فتملك الحسد من قلوبهم، ودارت فى رؤوسهم الأفكار الشريرة. وقال أحدهما للآخر:

ـ الآن سوف يحصل شقيقنا الأصغر على نصف المملكة من والدنا الملك، وبعد موته سوف يصير وريثه على العرش، فمن الأفضل لنا أن نقتله ونحتفظ لأنفسنا بما حصل عليه، فتأخذ أنت لنفسك ذات الشعر الذهبي، وأنا آخذ الحصان ذى العرف الذهبى، أما الطائر فيمكننا أن نعطيه لأبينا كى يشدو له، ونقسم فيما بيننا المملكة بالتساوى.

ثم قام الشقيقان الشريران بتنفيذ ما فكرا به، فقتلا شقيقهما، ومزقا جسمه إلى قطع عديدة، ثم هددا ذات الشعر الذهبى بالموت إذا أخبرت أحدًا بالحقيقة. وبعد أن وصلا إلى الديار، قاما بوضع الحصان ذى العرف الذهبى فى إسطبل فاخر من المرمر، ووضعا الطائر بقفصه الذهبى داخل حجرة خاصة أقاماها له. وخصّصا أجمل غرف القصر لذات الشعر الذهبى، وجلبا العديد من الجوارى لخدمتها.

نظر الملك العجوز المريض إلى الطائر، ثم سأل ولديه إن كانا يعرفان شيئًا عن أخيهما الأصغر فاجأباه:

ـ لم نسمع عنه شيئًا، ولعله مات فى أثناء طريقه فى مكان ما.

ظل الملك على حزنه السابق، ذلك لأن الطائر النارى لم يغرد مرة واحدة، وأطرق الحصان ذو العرف الذهبى برأسه ولم يدع أحدًا يمتطيه. ولم تنطق العذراء ذات الشعر الذهبى بكلمة واحدة، ولم تمشط شعرها الذهبى، وظلت تذرف الدموع فى بكاء حار.

فى هذا الوقت، رقدت أشلاء الأمير متناثرة فى الغابة، فأتى إليها الثعلب العجيب مرة ثانية، وقام بتجميع أجزاء الجسد معًا. ثم وضع كل جزء فى مكانه كأنه يريد أن يبعثه إلى الحياة من جديد، لكنه لم ينجح فى ذلك، وهنا رأى الثعلب غرابًا كبيرًا ومعه آخران صغيران، وصارت الغربان تحوم حول جسد هذا الأمير. فاختبأ الثعلب بين العشب حتى حط أحد الغرابين الصغيرين على الجسد، وتأهب لينهش منه، عندئذ قفز الثعلب مسرعًا من مخبئه، وأمسك بالغراب من جناحه وكأنه يريد تمزيقه. فحط الغراب الكبير خائفًا بالقرب من الثعلب وقال له:

ـ اترك ابنى المسكين فهو لم يؤذك، وعندما يأتى وقت تحتاج إلىّ، سوف أرد لك الصنيع.

قال الثعلب: أنا الآن فى حاجة إليك، فأحضر لى من البحر الأسود بعضًا من الماء الميت والماء الحى. وعندئذ سوف أترك صغيرك حرًا.

وعده الغراب بأنه سوف يطير ويحضر له الماء فى الحال، وابتعد محلقًا على الفور، وظل الغراب طائرًا فى الفضاء ثلاثة أيام وثلاث ليال، وعاد بعدها إلى الثعلب وهو يحمل فى فمه خيشومين من خياشيم السمك مملوءين بالماء، فى أحدهما الماء الميت وفى الخيشوم الآخر الماء الحى. وتركهما بجانب الثعلب. فأفلت الثعلب الغراب من بين أنيابه. ورفرف الغراب بجناحيه وانطلق محلقًا مع الغراب الآخر. وأخذ الثعلب الخيشومين المملوءين بالماء ووضعهما الواحد بجوار

الآخر، ثم رش جسد الأمير بالماء الميت فالتصقت أجزاؤه تمامًا، وأصبح جسدًا كاملاً بلا ندبات ولا جروح. وبعد ذلك نثر على الجسم الماء الحى، فنهض الأمير واقفًا كما لو أنه أفاق من حلم طويل. وصاح قائلاً :

ـ آه .. يبدو أننى قد نمت نومًا عميقًا.

فقال له الثعلب: نعم .. لقد كان حقًا نومًا عميقًا، ولولا وجودى لما أفقت منه أبدًا. ألم أحذرك من قبل ألا تتوقف فى أى مكان، وأن تذهب مباشرة إلى دارك؟

ثم حكى الثعلب للأمير ما جرى، ورافقه عبر الغابة حتى أصبحا على مشارف القصر، ثم أعطاه الثعلب ملابس رثة فقيرة ليرتديها، واختفى بعد أن ودع الأمير.

ذهب الأمير إلى القصر، فلم يتعرف عليه أحد فى هيئته الرثة، والتحق بالخدمة فى الإسطبل، وذات مرة سمع سائسين يتحدثان معًا. وقال أحدهما للأخر:

ـ وأسفاه على هذا الحصان الجميل ذى الشعر الذهبى. يبدو أننا سوف نفقده فى القريب العاجل، فهو منذ زمن طويل يرفض الطعام، ويقف فى مكانه منكس الرأس فى صمت.

عندئذ قال الأمير: أحضروا لى بعضًا من خلطة العدس، وأنا أراهنكم أنه سوف يأكلها فورًا.

ضحك السائسان وقالا:

ـ هاهاها.. خلطة العدس هذه ترفض خيولنا الأخرى العادية أن تأكل منها، فما بالك بهذا الحصان؟

لكن الأمير ذهب وأحضر بنفسه خلطة العدس، وذهب بها إلى الحصان، ثم وضعها فى معلفه المرمرى، وأخذ يمسد بيده على عرفه الذهبى فى رقة، وقال له:

ــ لماذا أنت حزين هكذا يا حصانى الرائع ذو العرف الذهبى؟

وهنا تعرف الحصان عليه بعد سماعه صوت الأمير. فانتفض جذلاً، وصار يصهل بصوتٍ عالٍ فى سعادة، ثم التهم بنهم خلطة العدس الموضوعة أمامه.

انتشر الخبر سريعًا فى أنحاء القصر، حتى علم الملك بأن أحد الخدم قد نجح فى علاج الحصان ذى العرف الذهبى. فدعاه الملك إليه فى الحال، وقال له:

ــ لقد سمعت بأنك ساعدت الحصان ذا العرف الذهبى، فيا ليتك تستطيع مساعدة الطائر النارى على التغريد، فإنه يجلس حزينًا لا يأكل شيئًا من الطعام. وقد تدلى جناحاه. ولو مات هذا الطائر، فسوف أموت أنا الآخر من بعده .

رد الأمير قائلا:

ــ كن مطمئنًا يا جلالة الملك، فالطائر لن يموت. فأمُر الخدم أن يحضروا له بعضًا من حبوب الشعير، ويضعوها فى قفصه. وأنا على يقين بأنه سوف يقبل على أكلها بالرضى والسعادة، وبعد ذلك سوف يشرع فى الشدو والغناء.

خرج الخدم لإحضار الحبوب، وقالوا متهكمين:

ــ كيف يريد هذا الأحمق أن يطعم الطائر النارى من حبوب الشعير التى يرفض الأوز أن يأكل منها؟

لكنهم أحضروا الحبوب إلى الأمير، فقام بوضعها للطائر فى القفص الذهبى، ثم أخذ يمسد بيده فوق ريشه الذهبى قائلاً له :

ـ مالى أراك حزينًا يا طائرى العزيز؟

تعرف الطائر على الأمير بمجرد أن سمع صوته، فنفض ريشه الذهبى كما لو كان يهندم من هيئته، ثم أخذ يقفز وهو يلتهم بشراهة ما أمامه من حبوب الشعير، وبعد مرور وقت قصير أخذ يغرد ويشدو بصوت آية فى العذوبة، فما إن سمعه الملك حتى شعر فى التو أن قلبه قد شفى من مرضه، وسرت فى بدنه القوة والعافية، فنهض من فراشه فرحًا، واحتضن الخادم المجهول بسعادة غامرة.

ثم قال الملك: والآن ماذا سوف نفعل مع تلك العذراء ذات الشعر الذهبى التى أتى بها أبنائي؟ فهى تجلس صامتة لا تتكلم ولا تأكل، ولا تمشط شعرها الذهبى، ولا تكف عن البكاء الحار.

قال الخادم: اسمح لى جلالتك بأن أحدثها ببعض الكلمات، فربما أستطيع أن أخرجها عن صمتها.

وفى الحال، اصطحبه الملك إلى الفتاة ذات الشعر الذهبى. فأمسك الأمير بيدها فى راحة يده، وقال لها:

ـ لماذا أنت حزينة على هذا النحو يا عروسى الحبيبة؟

على الفور تعرفت الفتاة على الأمير، وصاحت فى فرح تعانقه بحرارة. فاعترت الدهشة الملك لما جرى أمامه، وسأل بذهول قائلاً:

ـ لماذا تناديها بعروسك؟ ولماذا تعانقك بهذه الحرارة؟

حينئذ قال له الأمير:

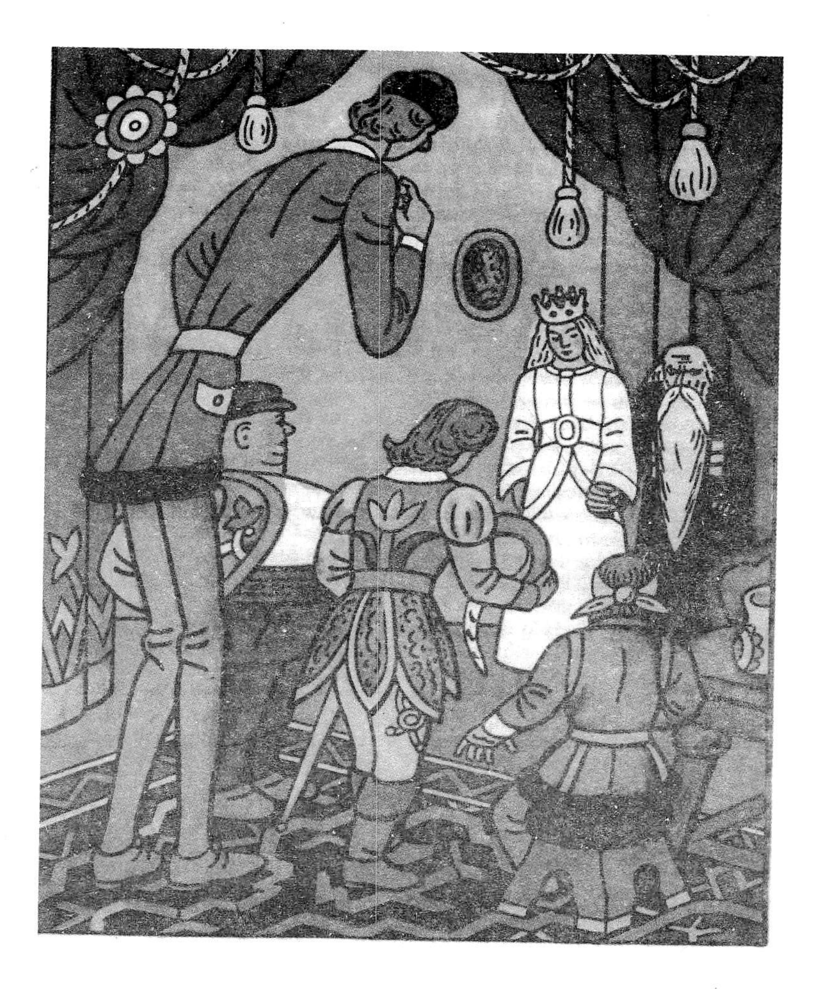
ـــ ماذا بك يا والدى العزيز؟ ألا يمكنك التعرف على ابنك الصغير؟ أنا الذى أحضرت لك الطائر النارى، والحصان ذا العرف الذهبى، وأيضًا هذه الجميلة ذات الشعر الذهبى، ولم يحضر شقيقاى شيئًا منهم.

ثم قص الأمير على الملك كل ما جرى. وأضافت ذات الشعر الذهبى قائلة:

ـــ لقد هددانى شقيقاك بالموت لو أننى فضحت أمرهما.

وقف الشقيقان يرتجفان ذعرًا بعد أن علما بافتضاح أمرهما، ولم يستطعا أن ينطقا بكلمة واحدة، وكان الملك حانقًا عليهما لما فعلاه من شر، فأمر بإعدامهما بلا رحمة أو شفقة، ثم تزوج الأمير بالعذراء ذات الشعر الذهبى، وحصل على نصف المملكة من أبيه، ثم ورث عرشه بعد وفاته، وحصل على النصف الآخر.

الطويل والعريض وذو النظر الخارق



كان هناك ملك يحكم إحدى البلاد، ولم يكن لديه سوى ابن وحيد، وبعد أن تقدم العمر بالملك وشعر بالعجز، استدعى ابنه، وقال له:

ـ ابنى العزيز، أنت تعلم جيدًا أن الفاكهة ينبغى أن تسقط بعد نضجها كى تفسح مكانًا لفاكهة جديدة أخرى، وقد بلغ رأسى من النضج حده، وفى القريب لن تسطع الشمس عليه ثانية، لكننى أتمنى أن أرى زوجتك ابنة المستقبل، قبل أن توارينى التراب، فأرجو أن تتزوج يا بنى وتلبى لى رغبتى الأخيرة قبل الموت.

قال الأمير:

ـ أحب أن ألبى لك رغبتك يا أبى، ولكن ليس لدى عروس أتزوجها، ولا أعرف أية واحدة تصلح لى.

عندئذ أخرج الملك من جيبه مفتاحًا ذهبيًا، وقال وهو يعطيه لابنه:

ـ اصعد إلى البرج وألقِ بنظرة على الطابق الأخير، ثم أخبرنى أيهم تحب أن تتزوج.

خرج الأمير على الفور وهو يفكر فى نفسه: "لم يسبق لى أن صعدت هذا البرج من قبل، كما أننى لا أعرف ما الذى يوجد هناك".

وصعد الأمير البرج حتى وصل إلى الطابق الأخير، ورأى كوة حديدية صغيرة مغلقة فى سقف المكان، ففتحها بالمفتاح الذهبى، ثم دفع غطاءها وصعد لأعلى، وهناك وجد صالة كبيرة مستديرة ذات سقف أزرق كالسماء الصافية فى الليل، تضيئها النجوم المتلألئة، أما أرضية الصالة فقد غطاها سجاد حريرى أخضر، وعلى الحوائط اثنتا عشرة نافذة عالية فى إطارات ذهبية، وقد نقشت بألوان زاهية على زجاج النوافذ، صور لفتيات تضع تيجانًا ملكية فوق رؤوسها، كما نقشت على زجاج كل نافذة صورة لفتاة تختلف عن الأخرى، وكانت كل منهن أجمل من الأخرى، حتى أن الأمير كان يرفع بصره بصعوبة شديدة من واحدة إلى الأخرى، ومضى يتطلع إلى الصور، وهو لا يعرف أيهن يختار، وفجأة أخذت الفتيات يتحركن وينظرن للأمير ويبتسمن له، كما لو أن الحياة قد دبت فيهن، ولم

يكن ينقصهن إلا أن يتكلمن، ولاحظ الأمير أن إحدى النوافذ الاثنتى عشرة قد أسدلت عليها ستارة بيضاء، فأزاح الستارة عنها، ورأى صورة لفتاة فى رداء أبيض، وقد وضعت حول خصرها زنارًا فضيًا، وعلى رأسها تاجًا من اللؤلؤ، وكانت الفتاة أجملهن على الإطلاق، غير أنها بدت حزينة شاحبة، كما لو كانت قد نهضت من القبر لتوها، ظل الأمير واقفا أمام تلك الصورة طويلاً، وكلما أمعن النظر إليها صار يشعر بخفقان قلبه وضرباته المتلاحقة، فقال فى نفسه:

"هذه هى الفتاة التى أريدها، ولا أبغى غيرها فى العالم".

وما إن أتم الأمير جملته، حتى أحنت الفتاة رأسها، واحمر وجهها حتى صار كالوردة الحمراء، وفى هذه اللحظة اختفت الصور الأخرى من على زجاج النوافذ،

بعد ذلك هبط الأمير من البرج، وذهب مسرعًا إلى والده، وأخبره عن الفتاة التى وقع اختياره عليها، عندئذ تجهم الملك، ثم قال بعد برهة من التفكير:

ــ لقد أسأت صنعًا يا بني، فبكشفك للنافذة المستورة، قد وضعت نفسك فى خطر محيق، فإن هذه الفتاة التى اخترتها موجودة بين يدى الساحر الأسود الشرير، وذلك بعد أن أسرها ووضعها فى القصر الحديدى، وقد حاول الكثيرون من قبلك تحريرها منه بلا جدوى، ولم يعد أحد منهم حيًا، لكن المحظور قد وقع، ولا يمكن للمرء تجنب القدر، والوعد الممنوح قانون ينبغى تنفيذه، فاذهب وابحث عن سعادتك المنشودة،وأرجو أن تعود إلى سالمًا.

ودع الأمير أبيه، ثم امتطى حصانه، ورحل فى طريقه للحصول على عروسه.

اضطر الأمير فى أثناء رحلته أن يعبر غابة كبيرة، فأخذ يسير ويسير داخل الغابة حتى ضل الطريق، وفى أثناء بحثه عن مخرج بين الأحراش والصخور، سمع صوتًا خلفه ينادى عليه:

ــ انتظر، انتظر وتريث أيها الأمير.

تلفت الأمير حوله، فشاهد رجلاً طويلاً يسرع الخطى نحوه قائلاً:

ــ انتظر واصحبنى معك لأكون فى خدمتك، ولن تندم على ذلك.

قال الأمير: من أنت؟ وماذا تستطيع أن تفعل لى؟

قال الرجل: اسمى الطويل، وأستطيع أن أتمدد وأستطيل، انظر إلى عش الطيور فوق هذه الشجرة العالية، يمكننى أن أحضره لك دون أن أتسلق الشجرة.

ثم أخذ الطويل يتمدد ويستطيل، حتى أصبح بطول الشجرة، فأخذ العش بين يديه، ثم تقلص من جديد وعاد إلى حجمه السابق، وأعطى العش للأمير الذى قال:

ــ أحسنت صنعًا، ولكن ماذا أفعل بعش الطيور هذا إن لم تستطع إخراجى من متاهة الغابة؟

قال الطويل: هذا أمر سهل للغاية، ثم أخذ يتمدد من جديد حتى أصبح أطول بثلاث مرات من أعلى شجرة فى الغابة، وتلفت حوله بناظريه، ثم قال:

ــ هذا الاتجاه هو أقصر الطرق للخروج من الغابة.

ثم تقلص الطويل وعاد إلى حجمه، وسحب حصان الأمير من لجامه، وسار فى المقدمة، وما هى إلا لحظات حتى أصبحا خارج الغابة، ووجدا أنفسهما أمام سهل واسع ممتد، ومن خلفه ظهرت صخور رمادية ضخمة كأنها حوائط لمدينة كبيرة أو جبال قد غطتها الغابات، فقال الطويل وهو يشير بيده:

ــ إنى أرى صديقًا هناك يا سيدى، عليك أن تضمه لخدمتك هو الآخر، وأعتقد أنه سيكون مفيدًا لك فيما بعد.

قال الأمير:

ــ حسنًا، صِحْ مناديا عليه حتى أراه بنفسى.

قال الطويل :

ـــ لكنه بعيد عنا بعض الشيء يا سيدى، ومن الجائز ألا يسمعنى لو صحت عليه، كما أنه سوف يستغرق وقتًا طويلاً حتى يصل إلينا، لأنه يحمل أشياء كثيرة، لذا من الأفضل أن أحضره بنفسى إليك.

ومرة أخرى أخذ الطويل يتمدد عاليًا حتى طالت رأسه السحب فى السماء، ثم خطا خطوتين، وحمل صديقه من كتفيه ووضعه أمام الأمير، وكان هذا الصديق رجلاً ممتلئًا عريض المنكبين بصورة كبيرة، ذا بطن ضخم كالبرميل.

سأله الأمير قائلاً:

ـــ من تكون أيها الرجل؟ وما الذى تستطيع أن تفعله؟

أجاب الرجل:

ـــ أنا أدعى العريض يا سيدى، ويمكننى الانتفاخ كالبالون فى أى وقت.

قال الأمير: أرنى مواهبك إذن.

هتف العريض:

ـــ إذن، ابتعد سريعًا يا سيدى، وعد حالاً إلى الغابة.

ثم أخذ العريض ينتفخ، ولم يدرك الأمير سبب تحذير العريض له، لكنه رأى الطويل يسرع مبتعدًا إلى الغابة، فنغز حصانه ولحق به، واستطاع الأمير أن يبتعد فى اللحظة الأخيرة قبل أن يهرسه العريض مع فرسه، ذلك لأن بطنه أخذ ينمو بشكل هائل فى جميع الاتجاهات، كما لو أن جبلاً قد انبثق فى لحظة، ثم توقف العريض عن الانتفاخ، وبدأ الهواء يخرج كالعاصفة من بطنه، حتى أن أشجار الغابة تمايلت من عصفه، وبعد ذلك عاد بطنه إلى حجمه كما كان من قبل، عندئذ قال له الأمير:

ـــ لقد أجبرتنى على الركض من أمامك أيها العريض، لكننى لن أجد مثيلاً لك، فتعال معى.

ساروا معًا حتى وصلوا إلى تلك الصخور، وهناك قابلوا رجلاً معصوب العينين، فسأله الأمير:

ـــ من أنت أيها الرجل؟ ولماذا تعصب عينيك على هذا النحو فلا ترى طريقك؟

رد الرجل:

ـــ على العكس يا سيدى، فإننى أرى أكثر من اللازم لو لم أعصب عينى، فأنا بعينى المعصوبتين أرى كما يرى الآخرون دون عصابة، ولو نزعت عنهما العصابة فيمكننى رؤية كل شىء عبر أية حواجز، وإذا حدقت بنظرى فى شىء ما فإنه يشتعل على الفور، وإن كان الشىء قابلاً للاحتراق فإنه ينفجر إلى أجزاء صغيرة،ولذا فهم يسموننى ذا النظر الخارق.

ثم نزع الرجل العصابة عن عينيه، والتفت إلى صخرة مجاورة، وأخذ يحدق فيها بعينيه المشعتين، وسرعان ما صارت الصخرة تتفتت، وتطايرت أجزاؤها فى جميع الاتجاهات، وبعد لحظة، لم يتبق منها سوى حفنة قليلة من الرمال، ومن بين هذه الرمال تألق شىء يلمع مثل اللهب، فذهب إليه ذو النظر الخارق لإحضاره، وأعطاه للأمير، فإذا به مسحوق من الذهب، هنا قال الأمير:

ـــ هاه.. إن موهبتك الفريدة هذه لا تقدر بمال، والمجنون فقط هو من لا يفكر فى الاستفادة من هذه الموهبة، والآن مادمت تملك نظرًا خارقًا، أريدك أن ترنو ببصرك وتخبرنى عن المسافة الباقية إلى القصر الحديدى، وتعلمنى بما يجرى داخله الآن؟

أجاب ذو النظر الخارق:

ـ لو ذهبت بمفردك يا سيدى فلن تصل قبل عام، ولكن إذا سرت معنا فستستطيع أن تصل اليوم، وإنى أراهم الآن بالقصر وهم يقومون بإعداد العشاء لنا.

قال الأمير:

ـ وماذا تفعل هناك عروسى الآن؟

هتف ذو النظر الخارق: خلف القضبان الحديدية ، وفى أحد الأبراج العالية، وضع الساحر حولها حراسته، بعد أن شدد عليها قبضته .

عندئذ قال الأمير:

ـ من منكم طيب القلب، فليساعدنى على تحرير الأميرة من أسرها.

فعاهدوه جميعًا على مساعدته فى مهمته، ثم حدق ذو النظر الخارق فى الصخور الرمادية، فانشقت الصخور من أمامهم، وقادوه عبر الشق العميق، ومضوا فى طريقهم يعبرون الجبال العالية ويقطعون الغابات الكثيفة، وكان الأصدقاء يقومون بإزالة كل العوائق التى تعترض طريقهم مستخدمين مواهبهم الخارقة، وعندما بدأت الشمس تميل نحو الغرب، أخذت الجبال تتقلص، والغابات تقل كثافة، والصخور تتلاشى، وعندما أصبحت الشمس فوق الغرب شاهد الأمير القصر الحديدى أمامه يلوح فى الأفق القريب، وعندما بدأت الشمس فى الغروب كان الأمير يسير فوق جسر حديدى باتجاه البوابة، وما إن غرب قرص الشمس، حتى ارتفع الجسر الحديدى فى الهواء من تلقاء نفسه، وأغلقت البوابات مرة واحدة، وأصبح الأمير ورفاقه أسرى داخل فناء القصر.

عند مدخل القصر تطلع الأصدقاء حولهم يستكشفون المكان، فوضع الأمير فرسه فى الإسطبل بمربط أعد له، ثم دلفوا إلى داخل القصر، وقد كان هناك الكثير من الناس عند المدخل وفى الإسطبل وداخل بهو القصر وحجراته، وهم جميعا يرتدون أفخر الملابس والثياب، وكان من بينهم السادة والأمراء والحاشية، لكن

أحدًا منهم لم يحرك ساكنًا، فقد كانوا جميعًا متحجرين، مر الأصدقاء بغرف كثيرة حتى وصلوا إلى حجرة الطعام التى أضيئت بشكل متميز، ففى وسط الغرفة وضعت طاولة عليها أنواع عديدة من الطعام والشراب، وقد جهزت لأربعة أشخاص، وجلسوا طويلاً فى انتظار حضور أحد من المدعوين، ولما يأسوا من الانتظار، أخذوا أماكنهم حول الطاولة، ومضوا يأكلون ويشربون، وبعد أن انتهوا من طعامهم، صاروا ينظرون حولهم بحثًا عن مكان ينامون فيه، وفى هذه اللحظة انفتح الباب فجأة على مصراعيه، ودخل الساحر الشرير إلى الحجرة، كان رجلاً عجوزًا مقوس الظهر، يرتدى زيًا طويلاً أسود اللون، وكان أصلع الرأس ذا لحية بيضاء تصل إلى ركبتيه، وقد وضع حول خصره ثلاث سلاسل حديدية بدلاً من الزنار، وهو يقود فتاة رائعة الجمال من يديها، وكانت الفتاة ترتدى رداءً أبيض اللون، وتضع حول جيدها زنارًا فضيًا، وفوق رأسها يتربع تاج من اللؤلؤ الخالص، غير أنها بدت حزينة شاحبة؛ كما لو أنها قد نهضت من القبر لتوها، تعرف الأمير عليها فى الحال وتقدم نحوها، ولكن قبل أن ينطق بكلمة واحدة، أوقفه الساحر الشرير قائلاً:

ــ إنى أعلم جيدًا سبب حضورك إلى هنا أيها الأمير، فأنت تريد أن تأخذ هذه الأميرة معك، وأنا أقول لك إن بمقدورك الحصول عليها، بشرط أن تقوم بحراستها لثلاث ليال دون أن تهرب منك، أما إن استطاعت الهرب، فسوف تتحجر أنت وكل من معك، ويصبح مصيرك مثل من حاولوا الحصول عليها من قبلك.

ثم أشار الساحر للأميرة إلى مقعد كى تجلس عليه، وخرج من الحجرة،لم يستطع الأمير أن يحول نظره عن الأميرة، ومضى يتحدث إليها ويسألها عن أمور عدة، لكنها لم تجبه بكلمة واحدة، ولم تختلج قسمات وجهها، حتى أنها لم تنظر إلى أحد كما لو أنها من الرخام الجامد، فجلس الأمير بجوارها، وقد عقد العزم أن يظل ساهرًا طيلة الليل كى لا تهرب منه، ولمزيد من الحرص تمدد الطويل كالسلسلة حول حوائط الغرفة، وجلس العريض عند الباب ثم انتفخ حتى سده تمامًا بحيث لا

تستطيع النملة أن تمر منه، ووقف ذو النظر الخارق فى منتصف الغرفة متكئًا إلى أحد العواميد للمراقبة، ولكن لم تمر لحظات قليلة، إلا وأخذ الجميع يتثاءبون، ثم راحوا جميعًا فى النعاس، وناموا طوال الليل نومًا عميقًا، كما لو أنهم قد ألقى بهم فى قلب الماء، وعندما بدأت أشعة النهار تتسلل إلى الغرفة كان الأمير هو أول من استيقظ، وعندما رأى أن الأميرة قد اختفت شعر وكأنه قد طعن بخنجر فى قلبه، فأيقظ رفاقه فى الحال وسألهم قائلاً:

ــ لقد اختفت الأميرة، فما العمل أيها الرفاق؟

رد ذو النظر الخارق:

ــ لا تحمل همًا يا سيدى.

وأخذ ينظر من الشباك، ثم صاح:

ــ إنى أراها، هناك غابة على بعد مائة ميل، وفى وسط الغابة تمامًا توجد شجرة بلوط كبيرة، وأعلى الشجرة أرى جوهرة، وهذه الجوهرة ما هى إلا الأميرة نفسها، فليحملنى الطويل على كتفه وسوف أحصل عليها.

وهكذا تمدد الطويل حاملاً ذا النظر الخارق، وانطلق به يخطو نحو الغابة، وقد كانت كل خطوة منه بعشرة أميال، وكان ذو النظر الخارق يشير له على الطريق، ولم يمض وقت طويل حتى عادا حاملين الجوهرة إلى الحجرة، وأعطى الطويل الجوهرة للأمير قائلاً له:

ــ ضعها الآن على الأرض يا سيدى.

وضع الأمير الجوهرة على الأرض، وفى لمح البصر ظهرت الأميرة واقفة بجواره.

وما إن بدأت الشمس تشرق من وراء الجبال حتى انفتح الباب محدثًا ضجيجًا عاليًا، ودخل الساحر الشرير الغرفة مبتسمًا باستهزاء، لكن الدهشة اعترته عندما رأى الأميرة، فتجهم وأخذ يزمجر غاضبًا، وإذا بإحدى سلاسله الحديدية تحترق وتسقط على الأرض من حول خصره، ثم أمسك بيد الأميرة وانصرف معها.

لم يجد الأمير ما يفعله طيلة النهار سوى التجول فى أروقة القصر ومشاهدة الأشياء الغريبة به، ولاحظ فى كل مكان أن الحياة قد توقفت فى لحظة واحدة، فرأى فى إحدى صالات القصر أحد الأمراء وقد أشهر سيفه وأمسك به بكلتا يديه، كما لو أنه أراد أن يقسم أحدهم إلى نصفين، لكنه تحجر قبل أن يكمل الضربة، وفى غرفة أخرى شاهد فارسًا متحجرًا وقد بدا عليه الذعر، وكأنه يفر من شىء، وقد قفز فوق عتبة الباب وظل معلقًا، ثم رأى أحد الخدم يجلس بجوار المدخنة وقد أمسك فى إحدى يديه بقطعة من اللحم المشوى، وملأ اليد الأخرى بالطعام يهم أن يضعه فى فمه، لكن الطعام لم يصل إلى الفم بعد أن تحجر، كما شاهد أيضًا الكثيرين وقد تحجر كل منهم فى الوضع الذى كان عليه، وذلك عندما صاح الساحر الشرير ناطقًا: "تحجروا"، ورأى الأمير العديد من الخيل الرائعة المتحجرة أيضًا، كان كل شىء فى القصر ومن حوله مهجورًا وميتًا، فقد كانت هناك أشجار بلا أوراق، وحقول بدون أعشاب، ونهر لا يجرى فيه الماء، ولم ير فى أى مكان عصفورًا يغرد، ولا زهرة يانعة، ولا سمكة تسبح فى الماء.

صباحًا وظهرًا وفى المساء، كان الأمير ورفاقه يجدون أصنافًا عديدة من الطعام والشراب قد أعدت لهم، وكان الطعام يأتى من تلقاء نفسه، والشراب يسكب فى الكئوس بلا يد تصبه، وبعد أن انتهوا من تناول العشاء انفتح الباب مرة ثانية، ودخل الساحر الشرير ومعه الملكة كى يحرسها الأمير، وعلى الرغم من أنهم جميعًا قد عقدوا العزم ألا يتكرر ما جرى معهم من قبل، وأن يقاوموا النوم بشتى السبل، فإنهم لم يفلحوا فى ذلك الأمر، وراحوا جميعًا فى سبات عميق من جديد،

وفى الصباح الباكر استيقظ الأمير، ولم ير أثرًا للأميرة، فأيقظ ذا النظر الخارق وهو يصيح به:

ـــ هيا استيقظ وانظر إلى أين ذهبت الأميرة.

فرك ذو النظر الخارق عينيه، وأخذ يحدق فى مختلف الاتجاهات، ثم صاح:

ـــ ها أنا أراها، على بعد مائتى ميل من هنا يوجد جبل، وفى بطن هذا الجبل توجد صخرة، وبداخل هذه الصخرة أرى حجرًا كريمًا، والأميرة هى هذا الحجر، فإذا حملنى الطويل إلى هناك يمكننى أن أحضرها.

وفى الحال حمله الطويل بعد أن تمدد، وانطلق يخطو به، وكانت كل خطوة منه تساوى عشرين ميلاً، حدق ذو النظر الخارق فى الجبل بعينين متأججتين، فتفتت الجبل وتطايرت الصخور بداخله إلى ألف قطعة، وتلألأ من بين القطع المتطايرة حجر كريم، فأخذ الطويل الحجر، وعاد به إلى الأمير، ووضعه الأمير على الأرض فإذا بالأميرة تظهر بجواره من جديد. ولما جاء الساحر ورآها فى الحجرة تطاير الشرر من عينيه غضبًا، ثم احترقت إحدى سلاسله الحديدية وسقطت على الأرض، فزمجر بصوت مخيف، وأخذ الأميرة وانصرف خارجًا.

وفى هذا اليوم تكرر ما حدث فى اليوم السابق، فأتى الساحر بالأميرة بعد العشاء، ثم نظر بحدة فى عينى الأمير وقال له ساخرًا:

ـــ سوف نرى اليوم من منا سينتصر، أنا أو أنت.

وانصرف سريعًا من المكان.

وعزم الأصدقاء أمرهم على عدم النوم بأية وسيلة، فظلوا يتحركون جيئة وذهابًا فى الغرفة، وقد قرروا عدم الجلوس حتى لا يغالبهم النعاس، ولكن كل هذا لم يفلح، وناموا جميعًا وقوفًا الواحد بعد الآخر، واختفت الأميرة من جديد.

فى الصباح الباكر وكالعادة، كان الأميرَ أول من استيقظ، وعندما لم يجد أثرًا للأميرة أيقظ ذا النظر الخارق ليبحث عنها، وظل الرجل يبحث بعينيه كثيرًا كثيرًا حتى صاح أخيرًا:

ـــ آه يا سيدى، إنها بعيدة جدًا فى هذه المرة، فعلى بعد ثلاثمائة ميل من هنا يوجد بحر أسود، وفى منتصف البحر وعلى قاعه توجد محارة بيضاء بداخلها خاتم ذهبي، والأميرة هى هذا الخاتم، لكن لا تحمل همًا يا سيدى الأمير، فسوف نحصل عليها فى جميع الأحوال، وعلى الطويل أن يأخذ معه العريض، فسوف نحتاج إليه اليوم.

وعلى الفور وضع الطويل ذا النظر الخارق على إحدى كتفيه، وحمل العريض على الآخرى، ثم تمدد وانطلق فى طريقه، وكان فى كل خطوة يقطع ثلاثين ميلاً، وعندما وصلوا إلى البحر الأسود، أشار له ذو النظر الخارق أن يمد يده حتى يصل إلى المحارة المطلوبة، فمد الطويل يده إلى آخر مدى لها، لكنها لم تطل قاع البحر،عندئذ صاح العريض قائلاً:

ـــ انتظروا قليلاً يا أصدقائى، فإننى أستطيع المساعدة.

وعلى الفور أخذ فى الانتفاخ حتى كبر بطنه إلى أقصى ما يستطيع، ثم رقد على الشاطئ وأخذ يشرب من الماء، وما هى إلا لحظات قليلة، حتى انحسر الماء بدرجة أتاحت للطويل أن يصل للقاع بسهولة، وأن يخرج منه المحارة، وبعد ذلك أخرج منها الخاتم الثمين، ثم وضع صديقيه على كتفيه مسرعًا فى طريق العودة، لكنه وجد صعوبة فى الركض وهو يحمل العريض الذى كان محتفظًا بنصف ماء البحر فى داخله، فألقى العريض بالماء من جوفه دفعة واحدة إلى أحد الوديان المنخفضة محدثًا دويًا مهولاً، وفى لحظة تحول الوادى إلى بحيرة كبيرة، خرج منها العريض بصعوبة بالغة.

في هذه الأثناء كان الضيق قد بلغ من الأمير أشده، فأشعة الشمس قد بدأت تظهر فوق الجبال، وانهمر العرق يتصبب على جبهته، وسرعان ما استقرت الشمس في مشرقها كدائرة ملتهبة، وهنا انفتح الباب بضربة قوية، وعلى عتبته وقف الساحر الشرير القبيح، ثم صار يخطو إلى داخل الغرفة وعلى وجهه ابتسامة النصر، وفجأة، تطاير زجاج النافذة، وتدحرج الخاتم الذهبي على الأرض، وفي الحال ظهرت الأميرة وهي تقف في الحجرة.

فعندما رأى ذو النظر الخارق ما يحدث في القصر، وشعر بالخطر الذي أحاط بسيده، أخبر الطويل بما يجري، فخطا الطويل خطوة، ثم ألقى بالخاتم إلى الغرفة عبر النافذة.

صرخ الساحر الشرير صرخة هائلة وهو في ثورة من الغضب، فاهتزت أركان القصر من شدة صرخته، ثم انفرطت السلسلة الحديدية الثالثة المحيطة بخصره، وتدحرجت على الأرض، وفي لمح البصر تحول الساحر الشرير إلى غراب أسود، وطار محلقًا عبر النافذة المكسورة.

في اللحظة نفسها تكلمت الفتاة الجميلة، وشكرت الأمير على تحريره لها من أسرها، واحمرت وجنتاها حتى صارتا كأوراق الزهرة، ومرة أخرى دبت الحياة داخل أروقة القصر، فتحرك الفتى الذي تحجر شاهرًا سيفه وأكمل ضربته في الهواء ثم وضع السيف في غمده، وسقط أرضًا الفارس المعلق عند الباب، لكنه وقف سريعًا وهو يتحسس أنفه ليرى إن كان سليمًا، وقام الرجل الجالس بجوار المدخنة بوضع الطعام في فمه، أما في الإسطبل فقد سمع صوت صهيل الخيل ودبيب حوافره، ومن حول القصر اخضرت الأشجار واكتست الحقول بالورود اليانعة، وفي أعالي السماء تردد شدو البلابل والعصافير، واندفع الماء يجري في النهر الذي امتلأ بالأسماك الصغيرة، وهكذا غمرت الحياة والسعادة كل أرجاء القصر وما حوله.

فى هذه الأثناء تجمع العديد من السادة فى حجرة الأمير وقاموا بشكره والثناء عليه لتحريرهم من السحر، لكنه صاح قائلاً:

ـ لا توجهوا إلىّ شكركم أيها السادة، فلولا وجود أتباعى المخلصين: الطويل والعريض وذى النظر الخارق، لكان مصيرى هو مصيركم نفسه الذى لقيتموه.

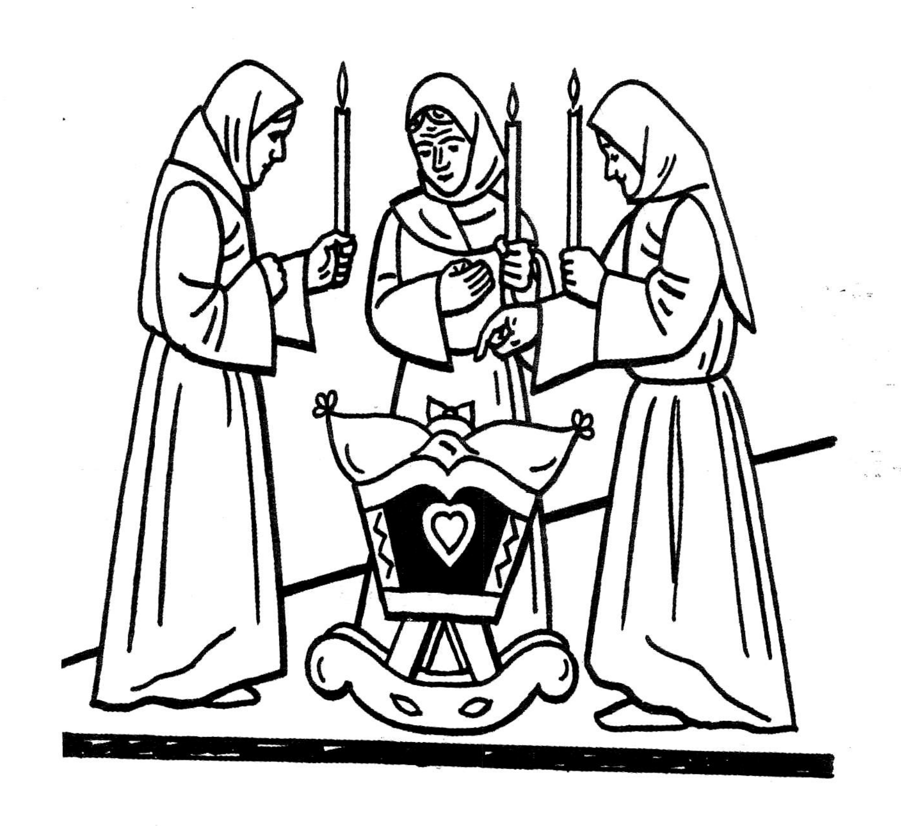
ثم ودَّع الأمير السادة والأمراء فى القصر، ومضى فى طريق العودة إلى قصر أبيه الملك العجوز، ترافقه عروسه والطويل وذو النظر الخارق، وفى الطريق التقوا بالعريض فأخذوه معهم وانطلقوا جميعًا إلى الديار.

بكى الملك العجوز من فرط سعادته بنجاح ابنه فى مهمته، فقد كان يعتقد أن الأمير لن يعود إليه حيًا، وسرعان ما أقاموا الأفراح وليالى الملاح الصاخبة، واستمرت الاحتفالات بالزفاف لثلاثة أسابيع، وقام الأمير بدعوة جميع السادة والأمراء الذين حررهم من السحر، وبعد انتهاء حفل الزفاف صرَّح الطويل والعريض وذو النظر الخارق للأمير برغبتهم فى الرحيل للبحث عن عمل، فحاول الأمير إقناعهم بالبقاء معه، وقال لهم:

ـ سوف أوفر لكم كل ما تحتاجون إليه طوال حياتكم، وليس عليكم القيام بأى عمل بعد الآن.

لكن هذا النمط الكسول من الحياة لم يُغريهم بالبقاء، فرفضوا عرض الأمير، وطلبوا الإذن بالخروج، ورحلوا جميعًا إلى حيث لا ندرى، ولعلهم يسكنون فى مكان ما من العالم حتى يومنا هذا.

ثلاث شعرات ذهبية للحكيم علام



يحكى أنه كان هناك ملك يهوى القنص والصيد، ويخرج إلى الغابات مطاردًا الحيوانات، وفى إحدى المرات انطلق الملك يطارد غزالاً، وظل يحاول

اللحاق به حتى ابتعد كثيرًا وضل الطريق، وأخذ الملك يسير فى الغابة وحيدًا حتى هبط الليل، وفجأة رأى فى الأفق كوخًا يلوح أمامه، ففرح كثيرًا وأسرع الخطى إليه، كان يعيش فى الكوخ رجل حطَّاب، فطلب منه الملك أن يخرجه من الغابة، ويرشده إلى طريق العودة، وووعده بمكافأة سخية، لكن الحطاب قال له:

ـ إنى أرغب فى الذهاب معك، لكن زوجتى كما ترى فى انتظار الولادة، ولا أستطيع تركها وهى فى هذا الحال، كما أن الظلام قد هبط، ولن يمكننا السير تحت جنحه، لذلك سوف أعد لك مكانًا تبيت فيه أعلى البيت، وباكرًا فى الصباح سوف أخرج معك.

بعد ذلك بقليل وضعت الزوجة للحطاب ابنًا، ورقد الملك على الأرض فى الغرفة العلوية، لكنه لم يستطع النوم، وعندما انتصف الليل، شعر بضوء قادم من أسفل، فأخذ ينظر عبر ثقب فى أرض الحجرة، ورأى الحطاب يغط فى النوم، وقد رقدت زوجته بجواره بعد أن وضعت الطفل كما لو أنها فى إغماءة، وبجوار الطفل وقفت ثلاث عجائز يرتدين ملابس بيضاء، وقد أمسكت كل منهن فى يدها بشمعة مضيئة، وهتفت إحداهن تقول:

"سوف أجعل هذا الولد يتعرض لمخاطر جسام".

ثم قالت الثانية:

"وأنا سوف أجعله ينجو من كل المخاطر سالمًا، ويحيا عمرًا مديدًا".

أما الثالثة فقالت:

"أما أنا فسوف أجعله يتزوج من ابنة الملك الذى يرقد فى الحجرة العلوية، والتى سوف تولد اليوم".

بعد ذلك أطفأت الشموع، وساد السكون مرة أخرى، مكث الملك بلا حراك كما لو كان أحدهم قد طعنه بسيف فى صدره، ولم ينم حتى الصباح، كان يفكر فيما سمعه، وفيما عليه أن يفعل حتى لا تتحقق نبوءة العجوز.

وعندما أشرقت الشمس، بدأ الطفل فى البكاء، فاستيقظ الحطاب ورأى أن زوجته قد غفلت إلى الأبد، فأخذ يندب قائلاً:

"آه يا طفلى المسكين! ماذا أفعل معك الآن وقد أصبحت يتيمًا؟".

قال الملك:

ـ أعطنى هذا الطفل أربيه، وسوف أعتنى به على أكمل وجه، وسوف أمنحك من المال ما يكفيك طوال حياتك، ولن تحتاج فى يوم من الأيام لجمع الحطب من جديد.

فرح الحطاب عند سماعه كلمات الملك، ووعده الملك بأن يرسل إليه من يأخذ الطفل، وعندما وصل الملك إلى قصره، أخبروه بسعادة بالغة أنه قد رزق بطفلة فى الليلة الماضية، فاستغرق الملك فى تفكير عميق، ثم استدعى أحد الخدم، ووصف له مكان الكوخ فى الغابة، وقال له:

ـ سوف تجد فى الكوخ حطابًا أعطه هذا المال، وسوف يعطيك هو طفلاً، فخذ الطفل منه، وفى طريق عودتك ألْقِ به فى ماء النهر، وإن لم يغرق الطفل فسوف تغرق أنت.

ذهب الخادم إلى الكوخ، وأخذ الطفل من الحطاب، ثم وضعه فى سلة وسار به، وعندما وصل إلى نهر عميق وعريض رمى بالسلة فى الماء، ثم عاد إلى القصر يروى ما حدث للملك، عندئذ قال الملك فى نفسه: "وداعًا يا صهرى العزيز".

ظن الملك أن الطفل قد غرق وهلك، لكن ظنه خاب ولم يغرق الطفل، فقد طفت السلة فوق الماء وسبحت مع التيار، وكان الطفل يتأرجح بداخلها نائمًا كما لو أن أحدًا يهدهده، وظلت السلة سابحة حتى وصلت أمام كوخ لأحد الصيادين على الشاطئ، كان الصياد جالسًا على ضفة النهر يقوم بإصلاح شبكته، وعندما رأى السلة تسبح فى النهر قفز فى الحال إلى مركبه الصغير، وانطلق خلفها حتى لحق بها، ثم أخرج الطفل منها.

حمل الصياد الطفل وذهب به لزوجته قائلاً:

ـ لقد كنت دائمًا تريدين ابنًا، فها هو الطفل قد حمله الماء إلينا.

فرحت زوجة الصياد بالطفل فرحًا كبيرًا، وقامت بتربيته ورعايته كما لو أنه ابنها، وكانوا ينادونه بال "عوَّام"، لأنه وصل إليهم عائمًا.

كان النهر يجرى والأعوام تمضى عام بعد الآخر، وأصبح الطفل شابًا يافعًا فائق الجمال، ولم يكن له مثيل فى أى من البلدان، وفى أحد أيام الصيف الحارة، مر الملك فوق حصانه بالمصادفة من هذا الطريق، وكان الجو شديد القيظ واشتد به الظمأ، فعرج على كوخ الصياد طلبا للماء، ولما أحضر له عوام الماء، نظر إليه الملك منبهرًا وقال:

ـ من يكون هذا الفتى الرائع؟ هل هو ابنك أيها الصياد؟

رد الصياد:

ـ نعم ولا يا مولاى، فمنذ عشرين عامًا بالتمام، وجدت بالنهر سلة بها طفل رضيع، وقد قمنا بتربيته فى بيتنا مثل ابننا.

شعر الملك بأن سحابة كثيفة تغشو عينيه، وامتقع لونه، فقد أدرك أن هذا الفتى هو من أمر بإغراقه منذ عشرين عامًا.

لكنه سرعان ما تمالك نفسه، وترجل من على حصانه قائلاً:

ــ أنا فى حاجة لرسول يذهب إلى قصرى، ولا يوجد أحد معى الآن، فهل يستطيع هذا الشاب أن يحمل رسالتى إلى القصر؟

قال الصياد: أوامر سموك واجبة التنفيذ.

جلس الملك وكتب رسالة لزوجته قال فيها: "أصدرى أوامرك فور قراءة هذه الرسالة بإعدام حاملها، فهذا الشاب هو عدو لدود ينبغى قتله، وعليك القيام بهذا الأمر قبل عودتي، وهذا قرارى النهائى".

ثم طوى الملك الرسالة وشمعها، وضغط بخاتمه الملكى على الشمع، وانطلق عوام بالرسالة فى طريقه إلى القصر، وكان عليه أن يقطع غابة كبيرة ويسير بين أحراشها، فاختلط عليه الأمر وضل الطريق، أخذ الفتى يسير بين الأحراش الكثيفة حتى بدأ الظلام يهبط على الغابة، ثم رأى سيدة عجوز قالت له:

ــ إلى أين أنت ذاهب يا عوام؟

رد الفتى قائلاً:

ــ إنى أحمل رسالة إلى القصر الملكى، لكنى ضللت الطريق، ألا تستطيعين يا أماه أن تدلينى عليه؟

قالت العجوز:

ـ لقد حل الظلام ولن تصل اليوم إلى القصر فى جميع الأحوال، فاقضِ الليلة عندى بدلا من أن تقضيها لدى غريب من الغرباء، فإننى أمك الروحية.

قبل عوام دعوة العجوز، ولم يكد يسير معها بضعة خطوات حتى وجد نفسه أمام بيت صغير رائع الجمال، كما لو كان قد نبت من الأرض فجأة، وفى أثناء الليل وعندما راح عوام فى النوم، أخذت العجوز من طيات ملابسه الرسالة الملكية، ووضعت مكانها رسالة أخرى كتبت فيها: "أعطِ أوامرك فور قراءة هذه الرسالة بعقد قران حاملها على ابنتنا، فهذا الشاب ينبغى أن يصبح صهرى، على أن يتم ذلك الأمر قبل عودتى، وهذا قرارى النهائى".

فى الصباح الباكر خرج عوام من بيت العجوز وسار إلى القصر، وعندما قرأت الملكة الرسالة أمرت فى الحال بالإعداد للزفاف، وكانت الملكة وابنتها منبهرتين إعجابًا بالعريس الجميل، وكذلك كان عوام سعيدًا بعروسه، وبعد مرور بضعة أيام عاد الملك إلى القصر، وعندما علم بما حدث غضب من زوجته غضبًا شديدًا وصرخ قائلاً:

ـ ما هذا الذى فعلتيه أيتها الحمقاء؟

ردت الزوجة:

ـ إننى لم أفعل سوى ما طلبته منى فى رسالتك، ألم تطلب فيها أن يتم هذا الزواج قبل عودتك؟

ثم أعطت الزوجة الرسالة للملك، فأخذ يفحص بدقة كل ما فيها من الخط والورق والخاتم الملكى، وبدا كل شىء كما لو كانت الرسالة قد كتبها بنفسه، فأمر باستدعاء صهره وسأله:

ـ ماذا فعلت فى طريقك إلى القصر؟

وحكى له عوام كيف أنه ضل الطريق، واضطر لقضاء ليلته عند أمه الروحية العجوز، ووصف المرأة للملك، فأدرك الملك من وصف عوام لها أنها العجوز نفسها التى تنبأت منذ عشرين عامًا لابن الحطاب بالزواج من ابنته، وطال التفكير بالملك، ثم قال للفتى:

ـ حسنًا، لن نستطيع أن نغير ما حدث أيها الفتى، لكن ينبغى أن تكون جديرًا بمصاهرتى، وأن تقوم بما أطلبه منك إن أردت الحصول على ابنتى، وعليك أن تحضر لى ثلاث شعرات ذهبية من رأس الحكيم علام مهرًا لها.

وهكذا ظن الملك أنه قد توصل إلى الطريقة المثلى للتخلص من هذا الصهر غير المرغوب فيه، فودَّع عوام عروسه ومضى فى طريقه المجهول، وهو لا يعرف إلى أين السبيل، وأيًا من الطرق يسلك، لكن أمه الروحية كانت ملاكه الحارس، فسلك الطريق الصحيح فى سيره، وأخذ الفتى يقطع الجبال والوديان، ويعبر الأنهار والسهول حتى وصل أخيرًا إلى البحر الأسود، وهنا رأى بحارًا جالسًا فى مركب فألقى عليه بالتحية، ورد البحار تحيته، ثم سأل عوام:

ـ إلى أين أنت ذاهب؟

أجاب عوام: أنا ذاهب للحكيم علام، كى أحصل منه على ثلاث شعرات ذهبية.

قال البحار: هوهوه.، منذ زمن بعيد وأنا أنتظر قدوم رسول مثلك، فقد مرت عشرون عامًا وأنا أقوم بحمل الناس إلى الشاطئ الآخر، دون أن يأتى أحد ليحررنى من هذا العمل، فإن وعدتنى أن تسأل الحكيم علام أن يخلصنى من هذا العمل، فسوف أنقلك إلى الشاطئ الآخر.

وعد عوام البحار أن ينقل طلبه للحكيم، فعبر به البحار بالمركب إلى الشاطئ الآخر.

ثم سار عوام حتى وصل إلى مدينة كبيرة يخيم الحزن عليها، وعند مدخل المدينة قابل رجلاً عجوزًا يسير بصعوبة متكئًا على عصا، فألقى عوام بالتحية عليه، ورد العجوز التحية ثم سأل عوام:

ـ إلى أين أنت ذاهب؟

أجاب عوام: أنا ذاهب للحكيم علام كى أحصل منه على ثلاث شعرات ذهبية.

قال العجوز: هوهوه، منذ زمن بعيد ونحن ننتظر قدوم رسول مثلك، وعلى الآن أن أصحبك إلى ملكنا فى الحال.

قال الملك: يقولون إنك ذاهب للحكيم علام، فهل هذا صحيح؟

أومأ عوام برأسه إيجابًا، فاستطرد الملك قائلاً:

ـ لدينا هنا شجرة تفاح، وقد كانت فى الماضى تطرح تفاحًا يعيد الشباب، فإذا أكل المرء منه واحدة فقط يعود شابًّا من جديد، حتى لو كان على شفا حفرة من الموت، لكن الشجرة صارت جدباء، وكفت عن طرح ثمارها منذ عشرين عامًا، فإن وعدتنى أن تسأل الحكيم علام ليعيد الشجرة إلى سابق عهدها، فسوف أجزل لك العطاء وأكافئك مكافأة ملكية.

وعد عوام الملك أن ينقل طلبه إلى الحكيم، وودعه الملك متمنيًا له التوفيق.

انطلق الفتى يسير فى طريقه حتى وصل إلى مدينة أخرى، وقد بدا الخراب عليها، وعند مدخل المدينة رأى شابًا يحفر قبرًا لوالده المتوفى، والدموع تنهمر فوق وجهه، ألقى عوام التحية، فرد الشاب عليه تحيته ثم سأل عوام:

ـ إلى أين أنت ذاهب أيها الفتى؟

أجاب عوام: أنا ذاهب للحكيم علام، كى أحصل منه على ثلاث شعرات ذهبية.

قال الشاب: أنت ذاهب للحكيم علام؟ يا للأسف، ليتك وصلت من قبل، فإن ملكنا فى انتظار قدوم رسول مثلك، وعلى أن أصحبك إليه على الفور.

وذهب عوام إلى الملك الذى قال له:

ـ سمعت أنك ذاهب للحكيم علام، فهل هذا صحيح؟

أومأ عوام برأسه إيجابًا، فهتف الملك قائلاً:

ـ لدينا هنا بئر كنا نستخرج منه الماء الحى، فإذا شرب أحدهم منه عادت إليه صحته من جديد حتى لو كان يحتضر، وإذا نثرت منه على ميت عادت إليه الحياة فى الحال، ولكن الماء فى البئر قد جف منذ عشرين عامًا، ولم يعد به قطرة واحدة، فإن وعدتنى أن تسأل الحكيم علام أن يعيد البئر إلى سابق عهده، فسوف أكافئك مكافأة ملكية.

وعد عوام الملك أن يحمل طلبه إلى الحكيم، ثم قام الملك بوداعه، وتمنى له النجاح.

ومضى عوام يسير فى طريقه بلا راحة ولا توقف، وأخذ يقطع غابة كبيرة كثيفة، وعندما وصل إلى وسط هذه الغابة، شاهد قصرًا ذهبيًا تحيط به حقول

شاسعة خضراء، تنمو فيها أزهار متنوعة رائعة الجمال، كان هذا القصر هو مسكن الحكيم علام، وقد بدا مضيئًا يشع بالنور مثل شعلة من النار، ودلف عوام إلى داخل القصر، غير أنه لم يجد أحدًا بداخله، عدا سيدة عجوز تجلس فى أحد الأركان ممسكة بثوب تقوم بحياكته، وقالت له العجوز:

ـ مرحبا بك يا عوام، إننى سعيدة برؤيتك مجددًا.

نظر عوام للعجوز، وعرف فيها أمه الروحية التى قضى عندها الليل عندما كان يحمل رسالة الملك، واستطردت العجوز قائلة:

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا؟

قال عوام:

ـ لقد وضع الملك لى شرطًا كى أكون جديرًا بمصاهرته، وطلب منى أن أحضر له ثلاث شعرات ذهبية من الحكيم علام.

ابتسمت العجوز وقالت:

ـ إن الحكيم علام هو ابنى، فهو الشمس الساطعة فى السماء، فى الصباح الباكر هو طفل رضيع، وفى منتصف النهار يصير رجلاً بالغًا، أما فى المساء فيصبح جدًا عجوزًا، وبما أننى أمك الروحية المسئولة عن رعايتك، فسوف أجلب لك من رأسه الذهبى الشعرات الذهبية التى تريدها، والآن يا بنى عليك أن تختبئ قبل أن يصل ويراك، فعلى الرغم من طيبة قلبه، فإنه قد يعود جائعًا فى المساء ويقوم بالتهامك، فاختبئ داخل هذا البرميل، وسوف أضع غطاءً عليه.

وقبل أن يختبئ عوام طلب منها أن تسأل الحكيم علام عن الأشياء الثلاثة التى وعد أصحابها بالسؤال عنها، فقالت له:

ـ سوف أسأله ولكن عليك أن تنتبه للإجابات التي يقولها.

وفجأة، هبت فى الخارج رياح شديدة، ودخلت الشمس من الشباك الغربى، وظهر رجل عجوز برأس ذهبية وقال:

ـ إنى أشم رائحة إنس هنا، هل لديك ضيوف يا أمى؟

ردت المرأة قائلة:

ـ يا نجمة النهار، هل من المعقول أن يكون لدى ضيوف دون أن تراهم؟ إنك تطوف طوال اليوم فى أرض الله الواسعة، وتشم العديد من روائح الإنس، فلا عجب أن يبقى أثر فى أنفك من هذه الرائحة، حتى بعد عودتك للمنزل.

لم يجب العجوز بشيء، وجلس إلى الطاولة يتناول عشاءه، وبعد انتهاء العشاء وضع رأسه الذهبى على قدمى أمه، وراح يغط فى سبات عميق، وعندما رأت الأم أنه قد راح فى النوم، نزعت من رأسه شعرة، وألقت بها على الأرض، فأحدثت رنينًا كصوت الوتر، فاستيقظ العجوز على صوت الرنين، وصاح متسائلاً:

ـ ماذا تريدين يا أماه؟

قالت أمه: لا شيء يا بنى، لقد غفوت قليلاً، ورأيت فى منامى حلمًا عجيبًا.

ـ وما الذى رأيتيه؟

ـ رأيت مدينة كبيرة بها بئر من الماء الحى الذى يشفى أى مريض، وكان بمقدور هذا الماء أن يعيد الموتى إلى الحياة من جديد، لكن الماء قد جف فى البئر منذ عشرين عامًا، فهل هناك وسيلة يمكن بها أن يعود الماء إلى البئر من جديد؟

ـ نعم، هناك طريقة بسيطة للغاية، ففى هذا البئر يجلس ضفدع كبير عند منبع الماء، ويمنعه من التدفق إليه، فإذا قتلوا الضفدع ونظفوا البئر سوف يعود الماء إلى التدفق من جديد،.

قال العجوز ما قاله، ثم عاد لنومه مرة أخرى، وبعدما غفل تمامًا، عادت الأم ونزعت من رأسه الشعرة الثانية، وألقت بها على الأرض، فصاح قائلاً:

ـ ماذا تريدين بعد يا أمى؟

ـ لا شىء يا بنى، لا شىء، فقد غفوت مرة أخرى، وشاهدت شيئًا عجيبًا، رأيت مدينة كبيرة، بها شجرة تفاح تطرح لهم تفاح الشباب، وكان هذا التفاح يعيد العجوز شابًا، لكن الشجرة لم تعد تطرح أية ثمار منذ عشرين عامًا، فهل هناك طريقة كى تثمر الشجرة من جديد؟

ـ نعم، هناك طريقة بسيطة، فأسفل هذه الشجر يرقد ثعبان كبير يلتهم عصارتها، فإذا قتلوا الثعبان، ونقلوا الشجرة لمكان آخر، سوف تثمر التفاح من جديد.

وبعد لحظات قصيرة راح العجوز يغط فى نومه، ونزعت أمه من رأسه الشعرة الثالثة، فصاح غاضبًا وهو يهم بالوقوف:

ـ ماذا هناك يا أمي؟ لماذا لا تتركينى نائمًا؟

ـ ارقد يا بنى، ارقد ولا تغضب، فأنا لم أرد إيقاظك، ولكنى بعد أن غفوت شاهدت حلمًا آخر عجيبًا، رأيت بحارًا فى البحر الأسود، ينقل الناس من شاطئ لآخر منذ عشرين عامًا، ولا يستطيع أن يتحرر من هذا العمل، فكيف يمكنه القيام بذلك؟

ـ إنه رجل غبى، فليعطِ أحدهم المجداف، ويقفز هو على الشاطئ تاركًا المركب، فيصبح من أمسك بالمجداف هو البحار الجديد، والآن اتركينى فى سلام، فيجب أن أستيقظ مبكرًا كى أذهب لابنة الملك، وأجفف الدموع التى تذرفها كل ليلة على زوجها ابن الحطاب، الذى أرسله الملك كى يحضر له ثلاث شعرات ذهبية من رأسى.

وقبل أن تشرق الشمس بقليل، هبت فى الخارج الرياح مرة أخرى، واستيقظ على قدمى الأم العجوز طفل برأس ذهبية، بدلاً من الرجل المسن، ثم ودع أمه وخرج طائرًا من الشباك الشرقى، فرفعت الأم الغطاء من فوق البرميل، وقالت لعوام:

ـ خذ، ها هى الشعرات الثلاث، والآن بعد أن عرفت الإجابة عن الأسئلة الثلاثة، يمكنك الذهاب فى رعاية الله، ولن ترانى بعد الآن، فلن تكون هناك حاجة لذلك.

شكر عوام المرأة جزيل الشكر، ثم ودعها وانطلق عائدًا فى طريقه.

عندما وصل إلى المدينة الأولى سأله الملك عن الأخبار التى يحملها إليهم، فقال عوام:

ـ إنى أحمل أخبارًا سارة، نظفوا البئر واقتلوا الضفدع الجالس عند المنبع، عندئذ سوف تعود المياه إلى التدفق كسابق عهدها.

أمر الملك بتنفيذ ذلك فى الحال، وعندما رأى الماء يتدفق ثانية فى البئر بغزارة، منح عوام اثنى عشر فرسًا ناصعى البياض كالبجع، وقد وضعوا عليها ما استطاعوا أن يحملوه من ذهب وفضة وأحجار كريمة.

ثم وصل عوام إلى المدينة الثانية، وسأله الملك عن إجابة اللغز المحير، فقال:

ــ إنى أحمل أخبارًا سعيدة لكم، عليكم أن تحفروا أسفل الشجرة حتى تجدوا ثعبانًا كبيرًا تحت جذورها، فاقتلوه على الفور، ثم اغرسوا الشجرة فى مكان آخر، وسوف تعود لطرح ثمار التفاح كسابق عهدها.

أمر الملك بتنفيذ ذلك فى الحال، ولم يكد الليل أن ينقضى، حتى اكتست الشجرة بالزهور كما لو كانت قد ارتدت ثوبا من الورود، فرح الملك كثيرًا وأهدى عوام عشرة أحصنة سود اللون كالغراب، وفوق كل منهما ما استطاع حمله من الثروات.

ثم سار عوام فى طريقه حتى وصل إلى البحر الأسود، وسأله البحار عن الوسيلة التى تحرره من العمل، فقال عوام:

ــ لقد عرفت الوسيلة لتحريرك من العمل، لكنى لن أخبرك بها حتى تنقلنى إلى الشاطئ الآخر.

تململ البحار بعض الشيء، لكنه فى نهاية الأمر نقل عوام للشاطئ الآخر ومعه الأربعة والعشرين حصانًا، وبعد أن نزل عوام إلى الشاطئ قال للبحار:

ــ عندما يأتيك أحدهم لتنقله إلى الشاطئ الآخر، أعطِ المجداف واقفز على الشاطئ وسيصبح هو البحار الجديد بدلاً منك.

ومضى عوام حتى وصل إلى قصر الملك، ولم يصدق الملك عينيه حين رأى الثلاث شعرات الذهبية التى أحضرها عوام من الحكيم علام، وأخذت ابنته تبكى فرحًا بعودة عوام، ثم قال الملك متسائلاً:

ـــ ومن أين لك هذه الخيل الجميلة وهذا الكنز الكبير؟

فقال عوام:

ـــ لقد عملت جاهدًا، وصرت جديرًا بالحصول عليها.

وحكى لهم عن مساعدته الملك الأول فى الحصول على تفاح الشباب الذى يعيد الكهل شابًا، وعن عونه للملك الثانى فى الحصول على الماء الذى يحيل المريض صحيحًا والميت حيًا، وأخذ الملك يردد بصوت خافت :

"تفاح الشباب.، الماء الحى، هذا يعنى أننى لو أكلت تفاحة لعدت شابًا، ولو أنى مت يمكننى العود للحياة بهذا الماء".

ثم قرر الملك أن يرحل على الفور بحثًا عن تفاح الشباب وعن الماء الحى،

وحتى يومنا هذا لم يعد الملك من رحلته.

وهكذا، أصبح ابن الحطاب صهرًا للملك كما تنبأت له الأم الروحية العجوز، أما الملك فلعله حتى الآن مازال ينقل الناس بالمركب عبر شاطئ البحر الأسود.

ذات الشعر الذهبى



فى قديم الأزمان كان هناك أحد الملوك يعيش حاكمًا على البلاد، وكان شديد الذكاء لدرجة أنه كان يفهم لغة كل المخلوقات عندما تتحدث فيما بينها، أما كيف جرى

ذلك الأمر فاسمعوا كيف تعلم لغة المخلوقات، ففى أحد الأيام جاءت إليه امرأة عجوز تحمل فى يديها سلة بها ثعبان، وقالت له:

ــ أعطِ أوامرك بطهى هذا الثعبان لتأكله، وعندما تنتهى من التهامه سوف تفهم ما تقوله جميع المخلوقات، التى تطير منها فى الهواء، أو تمشى على الأرض، أو حتى تسبح فى الماء.

أعجب الملك بما تقوله العجوز، فسوف يصبح بمقدوره ما ليس لأحد آخر فى العالم قدرة عليه، فشكر المرأة العجوز، وأجزل لها العطاء، وفى الحال أصدر أوامره للخدم أن يعدوا له هذه السمكة، كى يتناولها على الغداء، وحذر الملك الطباخ قائلاً:

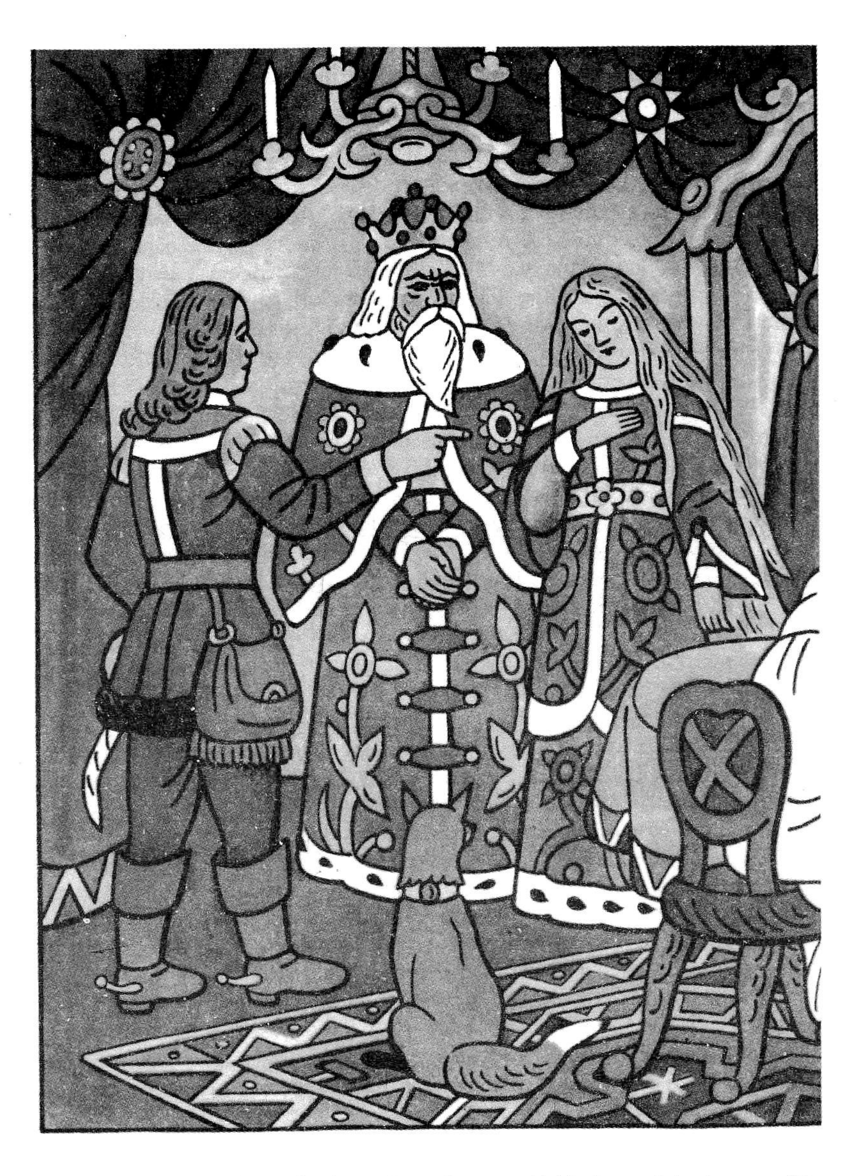
ــ إياك أن تتذوقها، أو حتى تلمسها بطرف لسانك، وإلا دفعت حياتك ثمنًا لهذا.

تعجب الطباخ "يرجيك" من هذا التحذير الصارم وقال لنفسه: "أنا فى حياتى لم أر سمكة بهذا الشكل، إنها تبدو كالثعبان، ثم كيف للطباخ ألا يتذوق ما يطهوه؟".

وعندما انتهى من إعداد الثعبان أخذ قطعة صغيرة منه على طرف لسانه وتذوقها، وفى هذه اللحظة سمع بالقرب من أذنيه شىء ما يطن قائلاً: "قطعة لنا أيضًا، قطعة لنا أيضًا"، تلفت يرجيك بحثًا عن مصدر الصوت، فلم ير سوى عددِ من الذباب يطير فى المطبخ، وهنا سمع صوتًا آتيًا من الخارج، وكأن أحدهم ينادى: " إلى أين أنتم ذاهبون؟ ..أين أنتم ذاهبون؟".

ثم سمع أصوات ترد: "إلى مخزن الطحين..إلى مخزن الطحين".

أطل يرجيك من الشباك فرأى عددًا من طيور الأوز مُحلِّقة، وخلفها يطير ذكر كبير.



قال يرجيك لنفسه: "هذا إذن هو السر فى هذه السمكة".

وبعد أن اكتشف حقيقة الأمر، تناول قطعة أخرى من الثعبان والتهمها، ثم حمل الثعبان إلى الملك كأن شيئًا لم يكن.

تناول الملك طعامه، وأعطى أوامره ليرجيك أن يعد له حصانًا كى يخرج فى جولة خارج القصر، وأن يرافقه فى جولته، وسار الملك على حصانه فى الأمام، ومن خلفه سار يرجيك على حصان آخر، وعندما مرا بسهل أخضر قفز حصان يرجيك وصهل قائلاً:

ــ أوهوو، كم أشعر يا أخى بأننى خفيف جدًا، وأننى قادر على القفز عبر الجبال.

قال الآخر:

ــ وما العجيب فى ذلك؟ أنا أيضًا سوف أكون سعيدًا لو أننى استطعت القفز، لكن كيف ذلك وهذا العجوز يجلس على ظهرى، فلو قفزت سوف يتدحرج على الأرض كالجوال وتنكسر رقبته.

رد حصان يرجيك:

ــ دعها تنكسر، فبدلاً من أن تحمل عجوزًا سوف تحمل شابًا.

بعد أن سمع يرجيك هذا الحوار ضحك من قلبه، ولكن بصوت خافت كى لا يلحظه الملك، لكن الملك أيضًا فهم هذا الحوار، والتفت ناظرًا إلى يرجيك فوجده يبتسم فسأله قائلاً:

ــ ما الذى يضحكك؟

رد يرجيك معتذرًا:

ــ لا شىء يا سمو الملك.. إنما تذكرت أمرًا مضحكًا.

سكت الملك العجوز، لكن الشكوك فى يرجيك ساورت نفسه، كما أنه فقد الثقة فى الحصانين، واستدار الملك عائدًا، وعندما وصلا إلى القصر، طلب الملك من يرجيك أن يصب له كأسًا من النبيذ، ثم قال له:

ـ ستطير رقبتك لو لم تملأ الكأس، أو أسقطت قطرة نبيذ خارجه.

أمسك يرجيك بزجاجة النبيذ وبدأ بصبه، وفى هذه اللحظة حطَّ على الشباك عصفوران كان أحدهما يطارد الآخر وكان العصفور الهارب ممسكًا فى منقاره بثلاث شعرات ذهبية، قال العصفور الأول:

ـ أعطنى الشعرات فهى ملكى.

ـ لن أعطيك شيئًا فهم ملكى أنا، أنا الذى التقطُها.

ـ لكننى أنا الذى رأيتها تسقط على الأرض، عندما كانت ذات الشعر الذهبى تمشط شعرها، فأعطنى شعرتين منها على الأقل.

ـ لن أعطيك ولا واحدة.

عندئذ هجم العصفور الأول على الثانى، وأمسك بطرف الشعرات الذهبية وأخذ اثنتين منها فى منقاره، أما الشعرة الثالثة فقد سقطت على الأرض محدثة رنينًا، التفت يرجيك نحو مصدر الرنين فانسكب النبيذ من الكأس، حينئذ صاح الملك:

ـ لقد فقدت حياتك الآن، لكننى سوف أكون رحيمًا بك، لو أنك ذهبت وأحضرت لى ذات الشعر الذهبى لأتزوجها.

أسقط الأمر فى يد يرجيك، وأصبح عليه أن يذهب باحثًا عن ذات الشعر الذهبى كى ينجو بحياته، ذلك على الرغم من أنه لم يعلم شيئًا عن الطريق إليها.

أعد يرجيك حصانًا وانطلق به إلى حيث لا يدرى، ومضى هائمًا على وجهه حتى وصل إلى غابة كثيفة، وعلى أطراف الغابة رأى عشبًا يحترق، وقد أشعله أحد رعاة الغنم، وكان هناك جحر للنمل أسفل هذا العشب، وتطاير الشرر على

النمل، فأخذ يركض فى كل الاتجاهات محاولاً الابتعاد عن النار، حاملاً بيضه الصغير الأبيض، وكان يصرخ مستنجدًا:

ــ النجدة.، ساعدنا يا يرجيك.، سوف نحترق مع صغارنا فى البيض.

قفز يرجيك من على حصانه فى الحال، وأخذ يبعد بقدميه العشب المحترق، ويطفئ النار المشتعلة فيه، عندئذ هتف النمل:

ــ تذكرنا أيها الرجل الطيب إذا ألمت بك محنة، وسوف نهب لمساعدتك كما ساعدتنا.

وانطلق يرجيك مواصلاً طريقه عبر الغابة، حتى وصل إلى شجرة جوز عالية، وعلى قمتها عش للنسور، وجلس أسفل الشجرة اثنان من صغارها تصيح وتندب حظها قائلة:

ــ لقد طار أبونا وأمنا وتركانا بلا أكل، وعلينا أن نبحث عن الطعام بأنفسنا، ونحن صغار لا حول لنا ولا قوة، ولا يمكننا الطيران بعد، فساعدنا يا يرجيك.. وأطعمنا وإلا متنا جوعًا.

لم يفكر يرجيك كثيرًا، بل قفز من على حصانه، وغرز سيفه فى جنب الحصان حتى تجد الصغار ما تأكله، عندئذ صاحت الصغار:

ــ تذكرنا إذا احتجت للعون، وسوف نلبى طلبك كما ساعدتنا.

بعد ذلك اضطر يرجيك أن يكمل طريقه سيرًا على الأقدام، فظل يمشى ويمشى عبر الغابة حتى خرج منها أخيرًا، ورأى أمامه بحرًا كبيرًا، وشاهد يرجيك على شاطئ البحر اثنين من الصيادين يدور بينهما شجار، فقد اصطادا سمكة ذهبية كبيرة فى الشباك، وكان كلاهما يريدها لنفسه، فقال الأول:

ـ إن الشبكة ملكى، إذن فالسمكة لى.

رد الآخر:

ـ لكن المركب ملكى، ولو لم أساعدك لما اصطادت شبكتك شيئًا.

ـ حسنًا، فى المرة القادمة عندما نصطاد سمكة كهذه سوف تكون من نصيبك.

ـ انتظر أنت المرة القادمة، وأعطنى هذه السمكة.

تدخل يرجيك قائلاً:

ـ دعونى أعدل فيما بينكما، أعطيانى هذه السمكة، وسوف أدفع لكما فيها ثمنًا جيدا، واقتسما ثمنها مناصفة.

وأعطاهما يرجيك كل المال الذى أخذه من الملك كى ينفق منه على رحلته، ولم يبق لنفسه شيئًا، وفرح الصيادان لأنهما حصلا على مثل هذا الثمن، وحمل يرجيك السمكة وأعادها إلى البحر، فقفزت السمكة بسعادة فى الماء، وسبحت فيه فرحة بنجاتها، وقبل أن تبتعد عن الشاطئ، أطلت برأسها من الماء قائلة:

ـ عندما تحتاجنى يا يرجيك ما عليك إلا أن تتذكرنى، وسوف أرد لك الصنيع.

ثم اختفت السمكة تحت الماء، وسأل الصيادان يرجيك عن مقصده، فرد قائلاً:

ـ أنا ذاهب كى أحضر لملكى العجوز العروس التى يريدها، وهى الفتاة ذات الشعر الذهبى، وإنى لا أعرف حتى أين أبحث عنها.

فقال الصيادان:

ـ آها.. نحن نستطيع أن نساعدك فى هذا الأمر، فإن ذات الشعر الذهبى هى ابنة الملك، وهى تعيش فى القصر البللورى القائم هناك فوق هذه الجزيرة، وفى كل يوم ومع بزوغ النهار، تمشط الأميرة شعرها الذهبى، فتنطلق منه أشعة بوسعك رؤيتها فى السماء، وعلى سطح البحر، وإن أردت أن نرافقك إلى الجزيرة فسوف نفعل، ذلك لأنك عدلت بيننا، لكن عليك توخى الحذر حتى تستطيع اختيار الفتاة المطلوبة، فهناك اثنتا عشرة فتاة، وكلهن بنات الملك، وواحدة فقط منهن لها شعر ذهبى.

وعندما وصل يرجيك إلى الجزيرة، توجه على الفور إلى القصر البللورى، ورجا الملك أن يعطيه ابنته ذات الشعر الذهبى، كى يتزوجها سيده الملك، فرد ملك القصر قائلاً:

ـ سوف أعطيك إياها لو برهنت لى أنك تستحقها، وعليك أن تنفذ لى ثلاثة مطالب فى ثلاثة أيام، والآن يمكنك أن تنال قسطًا من الراحة حتى الغد.

وفى صباح اليوم التالى قال له الملك:

ـ لقد كانت ابنتى ذات الشعر الذهبى ترتدى عقدًا من اللؤلؤ الثمين، ثم انفرط العقد وتناثرت اللآلئ فى حقل من الأعشاب الطويلة، وعليك أن تجمع هذه اللآلئ دون أن تنقص واحدة منهم.

خرج يرجيك إلى الحقل الواسع، وانحنى بين الأعشاب يبحث عن اللآلئ المفقودة، وظل جاهدًا فى بحثه من الشروق وحتى منتصف الظهيرة، غير أنه لم يجد ولا لؤلؤة واحدة، فقال محدثًا نفسه:

"لو كان النمل هنا لاستطاع أن يساعدنى".

وفجأة، ظهرت جيوش النمل من حيث لا ندرى، وانطلقت تسير فى الحقل محدثة يرجيك وقد تزاحمت من حوله:

ـ ها نحن جئنا لنساعدك، فماذا تريد منا؟

قال يرجيك:

ـ على أن أجمع اللآلئ المفقودة من هذا الحقل، لكنى لا أرى واحدة منهم.

قال النمل: انتظر قليلاً أيها الرجل الطيب، وسوف نقوم بجمعها لك.

لم يستغرق الأمر كثيرًا حتى أحضروا له كمية كبيرة من اللآلئ، ثم بدأ يرجيك بوضع اللآلئ فى خيط، وعندما انتهى من رصها وأراد أن يربط طرفى الخيط رأى نملة تسير نحوه وهى تعرج، فقد احترقت قدمها فى الحريق الذى أطفأه يرجيك من قبل، وأخذت النملة العرجاء تصيح:

"انتظر يا يرجيك، لا تربط الخيط فإنى أحمل لك لؤلؤة أخرى".

حمل يرجيك عقد اللؤلؤ إلى الملك الذى أخذ يحصى اللآلئ فى دهشة، ولما وجد العدد كاملاً قال:

ـ لقد أنجزت عملك باقتدار، وغدًا أوكل إليك عملاً آخر.

وفى صباح اليوم التالى ذهب يرجيك للملك الذى قال له:

ـ لقد كانت ابنتى ذات الشعر الذهبى تسبح فى البحر وسقط منها خاتم ذهبى، وعليك أن تجد هذا الخاتم وتحضره إلىَّ.

ذهب يرجيك إلى شاطئ البحر والحزن بادٍ عليه، فقد كانت مياه البحر رائقة، ولكنها عميقة لدرجة أن يرجيك لم يستطع أن يرى القاع بعينيه، فكيف له أن يبحث عن خاتم فى هذا القاع؟

قال يرجيك محدثًا نفسه: "لو كانت هنا سمكتى الذهبية لاستطاعت أن تساعدنى فى محنتى".

وفى هذه اللحظة لمع شىء ما فى البحر، ومن العمق إلى السطح طفت السمكة الذهبية وصاحت:

ــ ها أنا قد جئت كى أساعدك، فماذا تطلب؟

رد يرجيك: على أن أجد فى البحر خاتمًا ذهبيًا، ولكنى لا أستطيع حتى أن أرى القاع بعينى.

فأجابت السمكة: لقد رأيت منذ قليل سردينة تحمل خاتمًا ذهبيًا على زعنفتها، فانتظر قليلاً وسوف أحضره لك.

لم يستغرق الأمر كثيرًا حتى عادت السمكة الذهبية وقد أحضرت له السردينة والخاتم.

وللمرة الثانية امتدح الملك يرجيك على إنجازه للمهمة المطلوبة باقتدار، وفى صباح اليوم التالى أوكل إليه الطلب الثالث وقال له:

ــ إن أردت أن أعطيك ابنتى ذات الشعر الذهبى كى يتزوجها ملكك، فعليك أن تحضر لى الماء الميت والماء الحى لأننى فى حاجة إليهما.

لم يعرف يرجيك من أين يبدأ البحث عن هذا الماء، فسار على غير هدى حيثما ساقته قدماه، حتى وصل إلى غابة كثيفة، فقال لنفسه:

"لو كانت النسور هنا، لكان بمقدورها أن تساعدنى" .

وفى هذه اللحظة سمع صوتًا فوق رأسه، وظهر نسران صغيران من حيث لا ندرى، وقالا له:

ــ ها نحن جئنا كى نساعدك، فماذا تريد؟

قال يرجيك: على أن أحضر الماء الميت والماء الحى، وأنا لا أعرف حتى أين أبحث عنهما، فقالا له: نحن نعرف مكانهما جيدًا، فانتظر قليلاً وسوف نحضرهما إليك.

وبعد لحظات قصيرة، أحضر كل من النسرين قارورة مليئة بالماء، فى إحداهما الماء الحى، وفى الأخرى الماء الميت، لم تسع الفرحة يرجيك لأن الحظ لم يتخل عنه، وأسرع بالعودة إلى القصر، وفى رحلة العودة وعلى طرف الغابة رأى شبكة عنكبوت بين شجرتين، وفى منتصف الشبكة جلس عنكبوت كبير يلتهم ذبابة، أمسك يرجيك بقارورة الماء الميت ورش العنكبوت من مائها، فسقط العنكبوت ميتًا على الأرض كما تسقط الثمرة الناضجة من فوق الشجرة، ثم رش الذبابة من القارورة الأخرى بالماء الحى، فعادت الحركة إلى الذبابة، وأخذت تخلص نفسها من خيوط العنكبوت، وانطلقت طائرة فى الهواء، ثم عادت تطن بجوار أذنى يرجيك وقالت له: "لقد أحسنت صنعًا، فإنك بدونى لا يمكنك التعرف على ذات الشعر الذهبى من بين الاثنتى عشرة فتاة".

عندما وجد الملك أن يرجيك قد نجح فى تنفيذ المطلب الثالث له، وافق على إعطائه ابنته ذات الشعر الذهبى، ولكن بشرط أن يتعرف عليها بنفسه، واصطحبه إلى قاعة كبيرة فى منتصفها طاولة مستديرة، وجلست حول الطاولة اثنتا عشرة فتاة على قدر عال من الجمال، وكلهن متشابهات إلى درجة يصعب معها التمييز بينهن، فقد ارتدت كل منهن على رأسها شالاً طويلاً ناصع البياض كالثلج يلامس الأرض، وهكذا لم يكن بمقدور أحد أن يعرف لون شعر أى من الفتيات.

قال الملك:

ـ هؤلاء هن بناتى.. فإن استطعت أن تعرف أيهن ذات الشعر الذهبى، تصير لك فى الحال، وتستطيع أن تصحبها معك، وإن لم تتعرف عليها، فهذا قدرك وعليك أن ترحل بدونها.

شعر يرجيك بضيق شديد ولم يدر ماذا يفعل، وفى هذه اللحظة سمع همسًا فى أذنه يقول له: "سر حول الطاولة وأنا سوف أخبرك عن فتاتك المطلوبة".

كان هذا الهمس للذبابة التى أنقذها يرجيك من العنكبوت بعد أن رشها بالماء الحى، ثم استمرت الذبابة تهمس له فى أثناء دورانه حول الطاولة: "لا.. ليست هذه، ولا هذه.. هذه أيضًا ليست هى، قف هنا، فهذه هى ذات الشعر الذهبى".

توقف يرجيك عند الفتاة التى أشارت إليها الذبابة، وصاح قائلاً:

ـ أعطنى هذه الفتاة، فهذه هى التى يستحقها سيدى.

قال الملك: لقد أصبت فى اختيارك أيها الفتى.

وفى الحال وقفت الفتاة وخلعت الشال، فانساب شعرها الذهبى من رأسها كما ينساب الماء من نبع غزير، وقد طال شعرها الأرض، وانبعث منه ضياء كالذى نراه مع شروق الشمس، حتى إن يرجيك لم يقو على النظر إليه.

وبعد ذلك، أعد الملك لابنته كل ما تحتاجه فى رحلتها، ورحل يرجيك مع العروس إلى سيده، وعندما شاهد الملك العجوز ذات الشعر الذهبى، لمعت عيناه وأخذ يقفز من فرط سعادته، وأمر فى الحال أن تبدأ التجهيزات لحفل الزفاف، ثم قال ليرجيك:

ـ لقد أردت أن أعاقبك بالشنق مثل اللصوص على عدم طاعتك لى، وأترك جثتك جيفة تأكلها الجوارح، ولكن بعد أن قمت بالمهمة المطلوبة على هذا النحو الجيد، فسوف آمر فقط بقطع رقبتك بالمقصلة، ثم أجعلهم يدفنون جسمانك كالشرفاء.

وبعد إعدام يرجيك، طلبت ذات الشعر الذهبى من الملك العجوز أن يهبها جثة الخادم الميت، فلم يستطع الملك أن يرفض طلب عروسه الجميلة، وبعد ذلك وضعت الأميرة رأس يرجيك فى مكانها على الجسد، قامت برش الماء الميت عليه، فالتحمت الرأس بالجسد واختفت أثار الجرح، عندئذ رشته بالماء الحى، فاستيقظ يرجيك مرة أخرى كما لو أنه ولد من جديد، ووقف نشيطًا كالغزال، وقد أضاء وجهه الشباب والحيوية، ثم فرك عينيه وهتف قائلاً:

ــ آه، يبدو أننى نمت نومًا عميقًا.

قالت ذات الشعر الذهبى:

ــ حقًا.. لقد نمت نومًا عميقًا للغاية، ولولاى لما استيقظت حتى أبد الآبدين من سباتك.

وعندما علم الملك العجوز بأن يرجيك قد عاد للحياة، وقد أصبح أكثر شبابًا وحيوية مما كان عليه، أصابه الحسد وتملكته الرغبة أن يعود شابًا هو الآخر، فأمر فى الحال أن يقطعوا رقبته الملكية، ثم يرشوه بهذا الماء.

قطع الحراس رقبة الملك تنفيذًا لأوامره، وصاروا يرشونه بالماء الحى، لكن الرأس لم تلتحم بالجسد، وظلوا يصبون الماء الحى عليه حتى نفد، فبدأوا يرشونه بالماء الميت فالتحمت الرأس بالجسم، غير أن الملك ظل ميتًا لأن الماء الحى كان قد نفد.

كانت البلاد لا تستطيع البقاء بلا ملك، ولم يكن هناك من هو فى ذكاء يرجيك، الذى استطاع أن يفهم لغة جميع المخلوقات، لذلك نصبوه ملكًا بدلاً من الملك السابق، ونصبوا ذات الشعر الذهبى ملكة.

عروس الثلج



كان هناك فلاح يدعى إيفان، وكانت له زوجة اسمها ماريا، وكان الاثنان قد بلغا من العمر أرذله، ولم يكن لديهم أبناء؛ لذلك كانا فى غاية الحزن والكرب.

وذات مرة فى فصل الشتاء، أخذ الثلج الرطيب فى التساقط، حتى كاد أن يصل للأعناق، وكان الأطفال فى الخارج يلهون ويلعبون به، ويصنعون منه أشكالاً مختلفة، وقف إيفان وماريا يراقبان الأطفال من الشباك فى صمت وحزن، وبعد لحظات ابتسم إيفان وصاح قائلاً:

ـ هيا يا زوجتى، لنذهب نحن أيضًا، ونصنع أشكالاً من الثلج.

أجابت العجوز فى سعادة:

ـ ولمَ لا؟ نحن أيضًا يمكننا اللهو على الرغم من عمرنا الكبير، ولكن لماذا نصنع أشكالاً بلا معنى؟ دعنا نشكل من الثلج طفلة، مادام الرب لم يهبنا طفلاً حقيقيًا.

قال إيفان:

ـ لكن الحقيقة تظل حقيقة.

ثم وضع غطاء الرأس، وخرج مع زوجته، وبدأ الاثنان بالفعل فى تشكيل طفلة من الثلج، فصنعا الجسد، ثم ألصقا به اليدين والقدمين، ووضعا أعلاه كتلة أخرى وكأنها الرأس، وهنا قال أحدهم وهو يمر بالقرب منهما:

ـ ساعدهم أيها الرب.

فأجاب إيفان :

ـ شكرًا جزيلاً على دعوتك.

سأل الرجل:

ـ لكن، ماذا تفعلان؟

رد إيفان:

ـــ كما ترى نحن نصنع..

أكملت العجوز الجملة بسعادة:

ـــ عروس الثلج.

ثم شكلا الأنف والذقن، وعملا فتحتين صغيرتين للعينين، ولم يكد إيفان أن ينتهى من وضع علامة الفم، حتى بدأت الطفلة فى التنفس وفتحت عينيها الصغيرتين الزرقاوين الجميلتين، ثم أخذت تحرك رأسها يمينًا ويسارًا، وأخذت تدفع الثلج بيديها وقدميها كما يفعل الطفل الحقيقى فى الحياة، هتفت الزوجة بصوت ملىء بالسعادة:

ـــ إيفان.، إيفان، لقد أعطانا الرب طفلة.

ثم أخذت الزوجة تحتضن عروس الثلج.

وكما يتكسر قشر البيض عندما تخرج منه الكتاكيت الصغيرة، تكسر الثلج من حول عروس الثلج، وأصبحت طفلة حقيقية حية، فصاحت العجوز بفرح:

ـــ أه يا عزيزتى الغالية يا عروس الثلج.

ثم ركضت بها إلى صالة المنزل، وأخذت عروس الثلج تنمو بالساعات وليس بالأيام، ولم يمض يوم حتى صارت أكبر حجمًا، مما جعل الفلاح وزوجته يحلقان فى سعادة غامرة، وبدأت الفتيات فى القرية يذهبن إلى منزل الفلاح، وأخذت زوجته تعتنى بعروس الثلج، فكانت تلعب معها، وتغنى لها مختلف الأغانى، وتعلمها كل شىء.

وهكذا، نمت عروس الثلج خلال فصل الشتاء، حتى أصبحت كفتاة فى الثالثة عشرة من العمر، وكانت آية فى الفطنة والذكاء، وأصبحت تدرك كل شىء وتتحدث فى كل الموضوعات، وكانت بيضاء كالثلج، عيناها لامعة الزرقة، وشعرها أحمر طويل يصل إلى خصرها، لكن وجهها كان خاليًا من أية عـــروق، بلا أية دماء تسرى به، وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت الفتاة فائقة الجمال، شديدة الطيبة، وكانت قلوب الناس تخفق لها على الفور، من حرارة ترحيبها بالجميع.

وصارت العجوز تقول لزوجها:

ــ لقد انقضى حزنى يا إيفان بعد أن وهبنا الله السعادة، وعلينا أن نعتنى بها.

وكان إيفان يرد قائلاً:

ــ نشكر الرب على منحته، لكن علينا أن ندرك أن السعادة فى العالم ليست خالدة، مثلها فى ذلك مثل الأحزان.

انقضى فصل الشتاء، وبدأت أشعة الشمس تصبح أكثر دفئًا، وأخذت الأعشاب فوق الحقول فى الاخضرار، وصارت الفتيات تخرج فى مجاميع متناثرة تغنى فى أنحاء القرية أغانى الربيع المرحة، لكن الحزن كان يتسلل إلى عروس الثلج، وعندما لاحظت العجوز ذلك الحزن، قالت متسائلة:

ــ ماذا بك يا طفلتى؟ هل أنت مريضة؟ هل قال لك أحدهم ما يغضبك؟

ردت عروس الثلج:

ــ ليس بى شىء يا أمى، ولست مريضة.

ذابت آخر بقايا الثلج على الأرض، واكتست الحقول والحدائق بالورود، وأخذت مختلف الطيور تغرد وتغني، وبدا كل شيء فى الكون أكثر سعادة، غير أن عروس الثلج كانت أكثر حزنًا، وصارت تتجنب أصدقاءها، وكانت دومًا تحتمى من الشمس فى الأماكن الظليلة، وعندما كانت السماء تتلبد بالغيوم أو تمطر، كانت عروس الثلج أكثر سعادة، وذات مرة هبت عاصفة شديدة، فكانت سعادتها لا توصف، وبعد أن انقضت العاصفة وعادت الشمس إلى الظهور فى السماء، عادت عروس الثلج إلى سابق حزنها، وأخذت تبكى بكاءً شديدًا.

وبعد انقضاء فصل الربيع، أقبل الاحتفال بعيد القديس يان، فتجمعت فتيات القرية كى يحتفلن بالعيد وذهبن لاصطحاب عروس الثلج، ثم طلبن من العجوز أن تسمح لعروس الثلج بالخروج معهن إلى الحفل، فخافت العجوز من خروج طفلتها مع الفتيات، ولم تكن لدى عروس الثلج الرغبة فى الذهاب، لكنها لم تستطع رفض رجاء الفتيات، وقالت لهن العجوز قبل أن يخرجوا:

ـــ انتبهوا إلى عروس الثلج، ولا تغفلن أعينكن عنها.

فأجابت الفتيات:

ـــ لا تخشِى شيئًا، فسوف نحافظ عليها مثل أعيننا.

ثم أخذن عروس الثلج من يدها وانطلقن فى سعادة إلى الحفل، وهناك وضعت الفتيات على رؤوسهن تيجانًا من الورد قد أعدوها خصيصًا للحفل، وأخذن فى الرقص والغناء، ولم يدعن عروس الثلج تفارقهن فى اللهو والمرح، وبعد أن غربت الشمس، شكلت الفتيات خطًّا من العشب والخشب الجاف، وأشعلن فيه النار، ثم اصطفت الفتيات فى طابور، الواحدة خلف الأخرى، فوقفت عروس الثلج فى آخر الطابور، وهنا قالت لها الفتيات:

ـ انظرى كيف نجرى ونقفز، وعليك أن تفعلى مثلنا، ولا تقفِى وحدك بعيدًا.

ثم أخذن يرددن أغنية القديس يان، وهن يركضن ويقفزن من فوق النار واحدة خلف الأخرى، وهنا سمعت الفتيات صوتًا غريبًا يصدر من خلفهن، كما لو كانت إحداهن تصرخ بأسى: "آخ".

التفتت الفتيات حولهن فى ذعر، وأخذت كل واحدة منهن تنظر إلى الأخرى، ثم لاحظن أن عروس الثلج لم تكن موجودة بينهن، فهتفت إحداهن:

ـ لعلها اختبأت لتلهو معنا.

ثم انطلقت الفتيات يبحثن عنها وينادين عليها، ولكنهن لم يعثرن لها على أثر، عندئذ قالت إحداهن:

ـ لعلها عادت إلى المنزل.

ثم ذهبن سريعًا إلى منزل الفلاح، لكن عروس الثلج لم تكن هناك، وأخذ الجميع يبحث عنها فى اليوم التالى والأيام التى تلته، غير أنهم لم يعثروا لها على أثر فى أنحاء القرية كافة كما لو أنها تبخرت فى الهواء.

أين اختفت؟ هل التهمهما حيوان مفترس؟ هل خطفها طير من لصوص الطوارد؟.، لا، لم يحدث شىء من هذا القبيل على الإطلاق، ولكن عروس الثلج عندما ركضت خلف صديقاتها، وقفزت من فوق النار، تحولت فى هذه اللحظة إلى بخار خفيف ارتفع فى الهواء، واندمج مع السحب العابرة محلقًا فى أعالى السماء.

أين طعامك أيها الإناء؟



عاشت فى إحدى القرى أرملة فقيرة مع ابنتها، وكان لديها بيت قديم ذو سقف من الأغصان اليابسة، والقليل من الدجاج يمرح أمام البيت، وقد كانت

العجوز تذهب إلى الغابة شتاءً للحصول على الخشب، وتخرج صيفًا لجمع ثمار الفراولة، أما فى الخريف فكانت تذهب إلى الحقل لجمع المحصول، بينما كانت الإبنة تذهب إلى المدينة لبيع ما يضعه الدجاج من بيض، وعلى هذا النحو سارت حياة الأرملة وابنتها.

ذات مرة، وفى أحد أيام الصيف، شعرت العجوز بإعياء ولم تستطع الذهاب إلى الغابة، فاضطرت الفتاة إلى الذهاب لجمع ثمار الفراولة حتى يجدا ما يأكلانه، فحملت معها إناءً كبيرًا وقطعة من الخبز، وخرجت فى طريقها، وعندما انتصف النهار كان الإناء قد امتلأ بالفراولة، فذهبت للراحة عند ينبوع ماء، وأخرجت الخبز وبدأت تأكل منه، وفجأة، ظهرت أمامها امرأة عجوز فى هيئة رثة كالشحاذين، وهى تمسك فى يدها بإناء صغير، وقالت لها :

ـ آه يا فتاتى العزيزة كم أود أن آكل بعض الزاد، فأنا لم أذق شيئًا منذ صباح الأمس، فهل تعطينى قطعة من هذا الخبز؟

ردت الفتاة:

ـ ولم لا أيتها الجدة؟ خذيه كله لو أردت، فإنى ذاهبة إلى البيت، وأرجو ألا يكون يابسًا لأسنانك.

ثم أعطت الفتاة طعامها كله للعجوز، عندئذ قالت العجوز :

ـ الحمد لله يا فتاتى العزيزة، الحمد لله، بما أنك يا عزيزتى بهذا الكرم، فسوف أمنحك أنا الأخرى شيئًا لك، خذى هذا الإناء، وعندما تصلين إلى بيتك، ضعيه على الطاولة وقولى: "أين طعامك أيها الإناء؟"، فيبدأ على الفور فى طهى الطعام الطيب لك، بالكمية التى تريدينها، وعندما تجدينه قد طهى ما يكفى، قولى

له: "كفى يا إناء"، عندئذ سوف يتوقف عن الطهي، لكن عليك ألا تنسى هذه العبارات.

ثم أعطتها الإناء، واختفت دون أن تعرف الفتاة أين ذهبت.

وعندما عادت الفتاة إلى بيتها، قصت على أمها ما جرى معها فى الغابة، ثم وضعت الإناء على الطاولة وصاحت:

"أين طعامك أيها الإناء؟".

فقد أرادت الفتاة أن تتأكد من أن العجوز لم تخدعها، وما إن نطقت عبارتها حتى شرع الإناء فى الحال بالطهى، وبدأ يظهر فى قاع الإناء الطعام الطيب الذى أخذ يعلو ويرتفع داخل الإناء، وقبل أن تعد إلى عشرة كان الإناء قد امتلأ عن آخره، فقالت الفتاة له: "كفى يا إناء"، وعلى الفور توقف الإناء عن الطهى، فجلست الفتاة مع أمها إلى الطاولة، وأخذتا تأكلان بشهية ونهم، فقد كان الطعام لذيذًا جدًا.

بعد أن شبعت الفتاة، أخذت البيض فى سلة، وذهبت به إلى المدينة لبيعه، وهناك جلست طويلاً فى السوق، فقد كانوا يعرضون عليها ثمنًا بخسًا مقابل البيض، ولم تستطع بيعه قبل حلول المساء، وفى هذه الأثناء، جلست العجوز بالبيت فى انتظار عودة ابنتها، ولما طال انتظارها شعرت بالجوع والرغبة فى تناول الطعام، فحملت الإناء، ووضعته على الطاولة، وهتفت قائلة:

ـ"أين طعامك أيها الإناء؟"، وفى لمح البصر بدأ الإناء فى الطهي، ولم تكد العجوز تتلفت حولها، حتى امتلأ الإناء عن آخره بالطعام، فقالت العجوز لنفسها:

"علىَّ أن أحضر طبقًا وملعقة".

وخرجت العجوز لإحضارهما، وعندما عادت ثانية، وقفت مذعورة من الخوف؛ فقد رأت الطعام قد فاض من الإناء وانسكب على الطاولة، ومن الطاولة

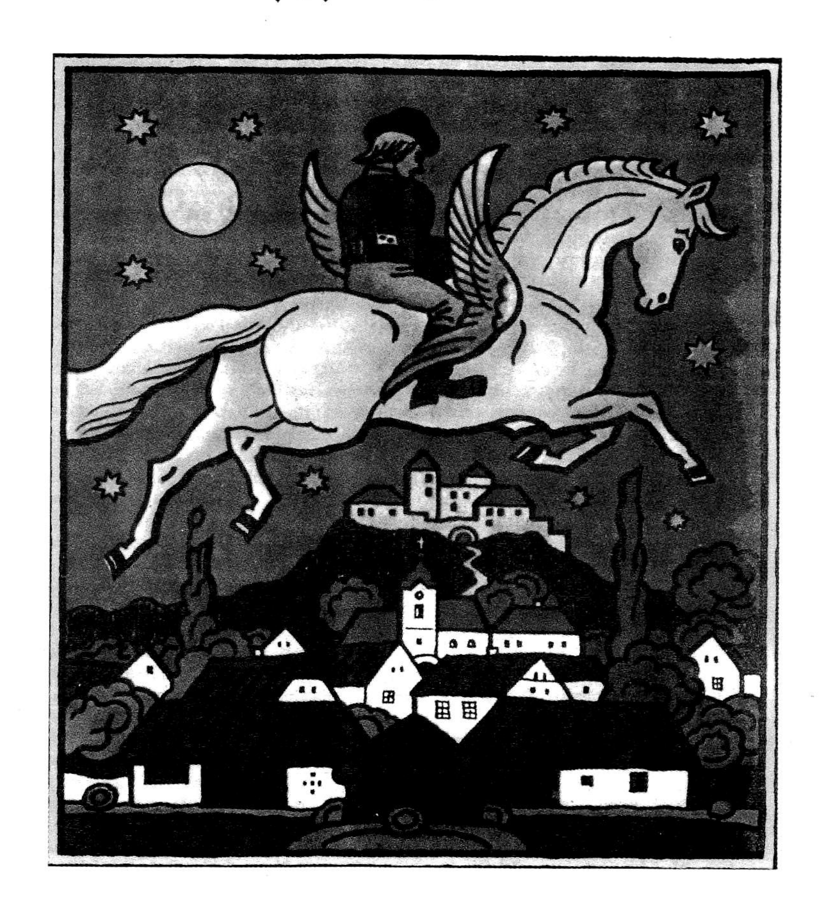
زحف بكميات هائلة على المقعد، ومن المقعد سال على الأرض، ونسيت العجوز العبارة المطلوب نطقها كى يتوقف الإناء عن الطهى؛ فقفزت ووضعت الطبق فوق الإناء تسده، لتوقف تدفق الطعام، ولكن الطبق سقط على الأرض من قوة الضغط، واستمر الطعام فى التدفق كالينبوع الهادر، حتى امتلأت به الغرفة، واضطرت العجوز أن تخرج منها هاربة إلى الصالة، حيث وقفت تندب حظها قائلة :

ـ أخ، يا للفتاة التعسة، ما هذا الذى أحضرته؟ لقد عرفت بمجرد أن رأيت هذا الإناء أنه لن يكون شيئًا نافعًا.

وما هى إلا لحظات حتى صار الطعام يتسرب من عتبة الباب إلى الصالة، وأخذ يعلو زاحفا فى كل الأنحاء، لم تدر العجوز ماذا تفعل وإلى أين تذهب، فخرجت من البيت هاربة من حصار الطعام، وهى تندب وتبكى بالدموع، وما تلبث أن تردد "ما هذا الذى أحضرته تلك الفتاة؟"، واستمر الطعام فى الزحف دون توقف، ولم يمض وقت طويل حتى اندفع من الباب والشباك إلى خارج البيت، ولا يعرف أحد كيف كان الأمر سيبدو لو لم تعد الفتاة وتصرخ:

"كفى يا إناء"، لكن فى الخارج صار هناك تل من الطعام، حتى إن الفلاحين أثناء عودتهم فى المساء من عملهم، اضطروا أن يمروا عبر هذا التل كى يصلوا إلى الطرف الآخر.

السيف العجيب



فى يوم من الأيام الحزينة، ماتت زوجة فافرا، لكن الرب قد خفف عنه الحزن والمعاناة، بأن ترك له طفلاً صغيرًا لطيفًا يدعى فويتا، وما إن كبر فويتا واشتد عوده، حتى أصبح فلاحًا ماهرًا كوالده، بل إنه فاقه فطنة وذكاء.

وذات مرة قام الوالد والابن بزراعة العدس، وعندما بدأ المحصول فى النضج، صارا يتناوبان على حراسته حتى لا يصيب الحقل سوء، فى اليوم الأول ذهب الأب للحراسة، وعندما هبط الليل، بدا له أن هناك حصانًا أبيض يقف وسط الحقل ويرعى من زرعه، فقال لنفسه: "كيف وصل هذا الحصان إلى هنا؟".

وانطلق نحوه كى يبعده عن المكان، وعندما اقترب منه، فر الحصان إلى الجهة المقابلة، وهكذا، استمر المسكين فافرا يطارده حتى منتصف الليل، ثم اختفى الحصان فجأة ولم يعرف فافرا تفسيرًا لما حدث، لكنه فى الصباح، قص على ابنه ما رأى فى الليلة السابقة، لم يعلق فويتا بشىء على ما قاله والده، لكنه ظن فى قرارة نفسه أن الأب قد غفا فى أثناء الحراسة، وأنه تخيل كل ما رواه له، ثم ذهب فويتا إلى الحقل يتفحصه بنفسه كى يقطع الشك باليقين، فلم يجد هناك أية آثار لأقدام الحصان، ولا لأقدام أبيه على الزرع، فقال فى نفسه:

" لا بد أن ما رآه الأب ما هو إلا حلمًا تراءى له".

وفى اليوم التالى، أتى الدور عليه للحراسة، فخرج إلى الحقل قبل غروب الشمس، ثم وضع منشفة حول كتفيه، وظل يدور حول الحقل طويلاً، دون أن يلمح أدنى شىء يثير شكوكه، وفجأة، خرج القمر منيرًا من خلف الغيوم، وفى الطرف الآخر من الحقل، ظهر حصان أبيض بلون الثلج المتساقط، ومضى يخطو فى رشاقة، فحدق نحوه فويتا فى دهشة عن بعد، وأخذ يفرك عينيه كى يتأكد من أن نظره لا يخدعه، ثم وضع المنشفة جانبًا، وشد قوسه مصوبًا سهمه نحو الحصان، وهنا، هتف الحصان قائلاً بصوت آدمى:

ـــ لا تطلق سهمك أيها الفتى، وإلا كان ذلك سببًا لتعاستك.

بعد تلك الكلمات اقترب الحصان من فويتا بخطوات رشيقة، حتى أصبح أمامه تمامًا، ثم تابع كلامه قائلاً:

ـــ أنا أمك يا فويتا، وإن أردت أن تحررنى من أسرى داخل هذا الجسم، وتجعل نفسك سعيدًا، فاجلس على ظهرى، وسوف أرحل بك من هنا.

رد فوتيا:

ـــ سوف أفعل ذلك بكل الرضى، لكن علىَّ أولاً أن أخبر والدى، كى لا يعتريه القلق بسبب غيابى.

هتف الحصان:

ـــ هذا تحديدًا ما لا ينبغى أن يحدث.

ظل فويتا حائرًا للحظات، ثم قال لنفسه:

"ماذا يمكن أن يحدث لو أنى رحلت؟ سوف يقلق أبى بعض الشىء، ولكن عندما أعود وأخبره بأنى قد حررت أمى المسكينة، فسوف يغفر لى".

ثم قفز على ظهر الحصان الذى حلق به فى السماء مبتعدًا، وظل الحصان طائرًا طوال الليل والنهار، ثم ليلة تالية ونهارًا آخر دون أن تظهر نهاية للرحلة، وفى منتصف نهار اليوم الثالث فقط، وصلا إلى إحدى البقاع الجميلة التى هبط بها الحصان، ثم قال لفويتا:

ـــ سر فى هذا الطريق حتى تصل إلى قصر تسكنه الساحرة الشريرة، وعليك أن تعمل لديها، ولا تنفذ ما تأمرك به، وبعد أن تنهى عملك عندها، عد إلى هنا لأخذك ونستكمل رحلتنا.

بعد أن سمع فويتا كلام أمه سار فى الطريق الذى أشارت عليه، حتى وصل إلى قصر بديع، ورأى عربة تجرها الخيول تدخل من بوابة القصر، وشاهد فى

العربة سيدة فائقة الجمال تجلس بها، وما إن لمحت المرأة فويتا حتى سألته عن سبب وجوده بالقرب من القصر، فقال لها:

ــ إنى أبحث عن أى عمل أقوم به مهما كان بسيطًا.

ــ إن لم تحب العمل مع الخيل، فسوف تعود من حيث أتيت بخفى حنين.

ــ لا، فأنا أحب العمل مع الخيل وأجيده.

ــ اتبعنى إذن.

ثم قفزت من العربة، وعبرت البوابة حتى وصلت إلى إحدى إسطبلات الخيل، حيث تقف ثلاثة خيول، وقالت وهى تشير إلى اثنين منها :

ــ عليك أن تقوم بإطعام هذين الحصانين جيدًا، وألا تغفل عنهما، أما هذا الثالث، فضع له قليلاً من الطعام مرة واحدة فى اليوم، كما عليك أن تضربه بعنف بواسطة هذه العصا الحديدية ثلاث مرات يوميًا، وإن لم تفعل ذلك فسوف يصبح عصيًا، ولن أستطيع امتطاءه؛ فنفذ ما آمرك به ولن تندم أبدًا.

وبعد أن أنهت السيدة حديثها، خرجت من الإسطبل؛ فاقترب فويتا من الحصان الثالث، وقال محدثًا إياه:

ــ أيها البائس المسكين، على أن أشبعك ضربًا بالعصا الحديدية، وأجعلك تتضور جوعًا، وأنت شديد النحافة والضعف، لكن أمى قد نصحتنى ألا أنفذ ما تطلبه هذه الساحرة الشريرة.

وعندما حان وقت إطعام الأفراس، وضع فويتا أمام معلف الحصان الضعيف الكمية نفسها التى وضعها للآخرين، كما أنه لم يضربه ولم يمسه بأذى، فاقترب الحصان من فويتا، وعلى وجهه تعبير لا يخلو من الحزن، وأخذ يتمسح فيه ممتنًا

له، كما لو أنه يريد أن يشكره على صنيعه، وفى المساء احتفظ فويتا من عشائه بقطعة من الخبز، وقدمها للحصان، فنظر الحصان إليه وصاح بصوت آدمي:

ـ أشكرك يا فويتا لأنك حررتنى من العذاب، لقد خدم هنا الكثيرون من قبل، وفعلوا جميعًا ما أمرتهم به الساحرة الشريرة، وهى فى حقيقة الأمر زوجة أبى، ومن فرط كراهيتها لى سحرتنى إلى حصان، وأرادت أن تدمرنى إلى الأبد، وأنت الوحيد الذى أشفق على، لذلك أريد أن أكافئك على عملك الطيب، فأرفع هذا السرج من فوقى وسوف تجد أسفله سيفًا عجيبًا، لا يعرف مخلوق عنه شيئًا سواى، فخذ السيف وخبِّئْه جيدًا، وفى الغد اطلب من الساحرة الشريرة أن تسمح لك بجولة صغيرة على ظهرى، ولن ترفض طلبك، لكنها سوف تظل واقفة خلف النافذة تراقبك، دون أن تحول أنظارها عنك، عندئذ عليك أن تخرج السيف وتصيح قائلاً: "فلتسقط رأس هذه الشمطاء"، وسوف تطير رأسها فى الحال، وما يحدث بعد ذلك، فسوف تراه بنفسك.

قام فويتا بما نصحه به الحصان، وعندما رفع السرج وجد تحته سيفًا صغيرًا من الفولاذ الخالص، وقد صنعت قبضته من الذهب، فأخذه ودسه أسفل مخدعه.

فى الصباح الباكر وضع فويتا الطعام للخيل، ثم ذهب إلى الساحرة يرجوها أن تسمح له بجولة على الحصان، فلم توافق فى بادئ الأمر، إلا أنها قبلت بعد أن أخبرها بأنه سوف يعامل الحصان بمنتهى القسوة، وذهب فويتا إلى الإسطبل، وأخذ السيف وخبأه بين طيات ملابسه، ثم امتطى الحصان ومضى يتجول به فى ساحة القصر.

أرادت الساحرة التأكد من أن الخادم الجديد سوف يضرب الحصان بقسوة، فوقفت خلف النافذة تراقبه، وفى هذه اللحظة لمع بريق السيف فى يد فويتا، وطارت رأس الساحرة الشريرة على الأرض، فقفز الحصان يغمر جسمه بالدم

المتناثر منها، وفى هذه اللحظة تحول الحصان إلى أمير وسيم الهيئة، وقف فويتا متسمرًا من الدهشة، فاقترب منه الأمير، وشكره بحرارة على تحريره من السحر، وفى هذه الأثناء تجمع خدم القصر فى المكان، ورحبوا بسيدهم وهم فى سعادة غامرة بعد أن تعرفوا عليه.

طلب الأمير من فويتا أن يبقى فى ضيافته، لكن فويتا أصر على الرفض، فأمر الأمير أن يعدوا لفويتا زيًا فاخرًا مطعمًا بالذهب والأحجار الكريمة، كما منحه السيف العجيب كى يحتفظ به للذكرى الخالدة، ثم قام بتوديعه.

ذهب فويتا لمقابلة حصانه الأبيض المحبوب، وما إن رأته أمه عن بعد وهو فى زيه الثمين، حتى صاحت بفرح:

ــ أحسنت صنعًا يا بنى، فكم تمنيت أن أراك فى ثوب كهذا الثوب، وبهذا السيف فى يدك يمكنك أن تصل إلى السعادة المنشودة، فهيا اصعد على ظهرى لآخذك إلى مكان آخر.

مرة أخرى أخذا يحلقان لبضعة أيام وليال، حتى وصلا بالقرب من مدينة كبيرة، فحطت الأم عندها، ثم قادت فويتا إلى صخرة كبيرة، ورفست الأرض بحوافرها ثلاث مرات، فانشقت الصخرة، وظهرت خلفها حديقة جميلة مثل روضة من رياض الجنة، كانت مكسوة بالورود العطرة، والطيور المغردة، وأشجار الفواكه الطيبة المذاق، وفى منتصف الحديقة تدفق ينبوع ماء نقى كالبللور يصب فى بحيرة رائعة.

نظر فويتا يتطلع فيما حوله منبهرًا، وتذوق بعض ثمار الفاكهة، ثم قالت الأم:

ــ والآن بلل رأسك بماء تلك البحيرة.

ذهب فويتا وغمر رأسه في ماء البحيرة، وما إن رفع رأسه ثانية حتى تحول شعره الكستنائي سابقًا إلى ذهبي، فوقف فويتا مذهولاً بعد أن تبدلت هيئته دون أن يعرف ما الذي حل به، لكن سرعان ما أخرجته أمه من حيرته بقولها:

ـ والآن يا عزيزي يا ذا الرأس الذهبي، استمع جيدًا إلى ما أخبرك به، ففي هذه المدينة الكبيرة القريبة منا، يعيش ملك لديه ابنة وحيدة فائقة الجمال تدعى ميلادا، وبعد أن أصاب العجز والهرم من الملك، أخذ يلح على ابنته في الزواج، وطلب منها أن تختار عريسًا لها من بين العديد من الأمراء الذين يتقدمون للزواج منها، غير أن الأميرة الحائرة لا تريد أن تتزوج بالطريقة التقليدية، لذلك فقد جمعت اليوم حشدًا هائلاً من الناس، حيث تم إعداد دائرة كبيرة محاطة بسياج عال، وفي منتصف الدائرة علقت وشاحها الأبيض فوق حبل، وأعلنت أنها سوف تتزوج بمن ينجح في قطع الوشاح بسيفه إلى نصفين، وهو منطلق على جواده، فخذ سيفك واصعد على ظهري، وحاول أن تحصل على عروسك، لكن عليك أن تكون يقظا ماهرًا، حتى يمكنك قطع الوشاح، وبعد ذلك ينبغي أن ترحل سريعًا، فليس مسموحًا لك أن تبقى هناك أكثر من الوقت اللازم.

مشط فويتا شعره الذهبي، وهندم زيه الجميل، ثم امتطى الحصان وانطلق إلى المدينة، وفي دائرة مسيجة جلست جموع المتفرجين، تترقب في لهفة الأمراء والنبلاء المتجمعين، والناس يحاولون أن يحزروا من منهم سوف يمكنه قطع الوشاح، وجلست الأميرة ميلادا في أبهى صورها، وقد ارتدت زيًا ثمينًا أثقله الذهب، ولمعت في شعرها الداكن قطع الماس كالنجوم المتلألئة في السماء، وما إن بدأت المسابقة، حتى نظرت الأميرة لأسفل باتجاه المتسابقين، وأخذت تبحث بعينيها بين الأمراء عن أحد يصلح لتختاره زوجًا لها، لكنها لم تجد فيهم من يجذب انتباهها، لذا فقد كانت سعيدة وهي ترى الفارس بعد الآخر يخفق في قطع الوشاح

الذى ظل يرفرف طائرًا فى الهواء، وما إن أنهى آخر المتسابقين محاولته حتى انتشى قلبها فرحًا بأنها مازالت حرة، وفى تلك اللحظة لاح أمامها وجه الأمير الطيب الجميل، وظهر على حصان أبيض فتى رائع الهيئة رأسه كالشمس، وانطلق صوب الوشاح المعلق، فقسمه نصفين فى وثبة رشيقة، ثم انحنى أمام الأميرة، واختفى من المكان كالرائحة العطرة التى تهب فجأة ثم ما تلبث أن تختفى مع الرياح.

ساد الهرج والمرج بين الحضور، وأخذ الجميع يبحثون عن الفارس الذى انشقت الأرض وابتلعته، وأصيبت ميلادا بخيبة أمل، بعد إدراكها أن الأمير البطل قد رفض يدها، فأعلنت فى الحال عن إقامة مسابقة أخرى فى اليوم التالي، وأن من يستطع قطع خاتم معلق على سلك رفيع فسوف يصبح زوجًا لها، وكانت الأميرة تأمل من ذلك أن يأتى بطلها ثانيةً.

جلس فويتا شاردًا فى حديقة الصخرة، وظل سارحًا فى أفكاره بعد أن سحرته عينا ميلادا، وهنا اقتربت منه أمه كى تخبره بما أعلنته الأميرة، ثم أضافت قائلة:

ـ اجلس على ظهرى يا بني، وخذ سيفك فسوف نذهب نحن أيضًا إلى هناك.

استمع فويتا لهذا الكلام بسعادة غامرة، وقفز فى الحال كى يستعد للذهاب إلى المدينة، وماهى إلا لحظات حتى كان منطلقًا إلى هناك.

جلست ميلادا مرة أخرى بجوار والدها، وظلت عيناها ترنوان إلى الطريق الذى أتى منه بالأمس الشاب ذو الشعر الذهبى، لكن الفارس لم يظهر إلا بعد أن أنهى الجميع محاولاتهم، فإذا به يطير على حصانه ممتشقًا سيفه، ثم يقطع الخاتم بمهارة فائقة، ويسرع بالانحناء أمام الأميرة، ثم يختفى متبخرًا فى الهواء.

غضب الجميع من رفض الشاب لأميرتهم المحبوبة، وكانت ميلادا أكثرهم حزنًا، لكنها قالت فى نفسها مواسية: "إن المرة الثالثة تأتى بكل الخير دائمًا".

وأعلنت فى الحال عن إقامة مسابقة أخرى فى الغد، فمن يستطع قطع حزمة من الأغصان إلى نصفين، يصبح زوجًا لها.

فى اليوم التالى، استعد فويتا للذهاب إلى المدينة، ثم قال لأمه يرجوها:

ــ أرجوكى يا أمى أن تسمحى لى بقضاء لحظات قصيرة مع الأميرة الجميلة، وأن أتبادل معها بعض الكلمات، حتى لا تظن أننى أكرهها، وبعد ذلك سأذهب معك أينما تقودينى.

فأجابت الأم:

ــ عزيزى فويتا، لا تطلب منى مثل هذا الطلب، فلو تكلمت مع الأميرة قد تضطر أن تفضح أمرى، وهذا ما لا ينبغى أن يحدث، فاستمع إلى نصيحتى دون أن تغضب منى أو تلعننى، واعلم يا ولدى أن السعادة قريبة منك.

جلس فويتا على الحصان صامتًا وقلبه يرتجف، واتجه صوب المدينة كى يحاول للمرة الثالثة أن يحصل على سعادته.

أعد الملك حراسة مشددة على الطريق الذى ذهب منه فويتا مرتين، كما أمر جنوده أن يطلقوا سهامهم على الحصان إذا ما حاول الفارس الانصراف، وتم كل ذلك دون أن تعلم ميلادا شيئًا عن الأمر.

ظهر فويتا فى الدائرة وقطع بسيفه حزمة الأغصان إلى نصفين، ولم يستطع أن يمنع نفسه من التوقف للحظات أمام المنصة التى جلست عليها ميلادا، وما إن نظر إلى عينيها حتى اختفت منهما تلك النظرة الغاضبة، وصار الحضور يصيحون ويهتفون، أما ميلادا فسرعان ما احمرت وجنتاها وهى تظن أن الفارس سوف يبقى

معها فى هذه المرة، وفجأة انتفض الحصان، وانطلق كالسهم فى الطريق الذى أتى منه حتى اختفي، وشحب وجه الأميرة مرة أخرى من الحزن.

غضب الشعب مما جرى، وهدد الملك بإنزال العقاب، وكانت ميلادا هى الوحيدة التى ابتسمت، ولكنها أخذت فى البكاء بعد أن انفردت بنفسها.

ولم يكن فويتا أفضل حالاً منها، فقد جلس فى الحديقة شاردًا كالمغيب دون أن ينطق بكلمة، ولم يأكل ولم ينم طوال الليل، وفى اليوم التالى اقتربت منه أمه وهى تقول:

ــ والآن يا عزيزى ينبغى علينا الفراق لوقت قصير، فاترك هنا ثوبك الفاخر والسيف الفولاذى، وارتد ملابس الفلاحين، وسوف تجد بعض الماعز ترعى بالقرب من هنا، فأمسك إحداهن واذبحها، ثم انزع جلدها واعصب به رأسك، حتى لا يعرف أحد أنك الفتى ذو الشعر الذهبى، ثم اذهب إلى المدينة وابحث عن عمل، وإن احتجت إلى فأنت تعرف مكانى، ولا تبح بسرك إلى أحد أيًا كان، حتى أسمح لك بذلك.

نفذ فويتا ما أمرته به أمه، ثم ودعها وذهب إلى المدينة.

كانت ميلادا جالسة فى الحديقة، عندما سمعت ضجيجًا وشجارًا يدور بين الخدم وأحد الغرباء، فذهبت لتعرف حقيقة الأمر، ورأت شابًا فقيرًا أحدب الظهر، وقد عصب رأسه بجلد ماعز، كما وضع عصابة على إحدى عينيه، فسألت واحدًا من الخدم:

ــ ماذا يريد هذا الفتى؟

أجاب الخادم:

ـ إنه يبحث عن عمل يا مولاتى، ونحن نقول له إن القصر ليس مرتعًا لأمثاله من الشحاذين.

قالت الأميرة للفقير:

ـ خيرًا فعلت بأن جئت إلينا، فهنا نستطيع أن نوفر لك العمل، لكن أخبرنى أولاً، من تكون؟

رد الغريب وهو يقبل يديها:

ـ مولاتى الأميرة، أنا إنسان فقير، وأريد أن أعمل، لكن لا يريد أحد أن يأخذنى للعمل بسبب عاهتى، فهم جميعًا يصيحون فى وجهى بأننى مقرف، وبأن وجهى قبيح، ورأسى مشوه، لذا فأنا مضطر أن أغطيه بهذا الجلد كى لا يراه أحد، ولقد سمعت كثيرًا عن كرمك وطيبتك يا مولاتى الجميلة، فقررت المجىء إليك راجيًا من سموك أن تلحقينى ولو بأقل الوظائف.

ـ وأنا لا أود أن أخيب ظنك، ما اسمك؟

ـ فويتا.

ـ لو أنك على دراية بالعمل فى البساتين، لأخذتك للعمل فى حديقتى، كى يعرف الجميع أن الإنسان التعس يجب ألا يلفظه الناس.

ـ إننى أجيد هذا العمل أيتها الأميرة الكريمة.

ـ حسنًا، تعال معى فى الحال، وسوف يصبح عملك الرئيسى أن تأتينى كل يوم بزهرة جديدة، وتحملها إلى غرفتى.

ـ إن هذا سوف يكون أحب الأعمال إلى قلبى.

قال البستانى الجديد جملته الأخيرة، وسار خلف سيدته منكس الرأس، خوفًا من أن تتعرف عليه، لكن ميلادا قادته إلى الحديقة دون أن تكشف أمره.

وهكذا، أصبحت أيام فويتا مليئة بالعمل الشيق واللحظات السعيدة، فقد كان كل ما يقوم به من أجل الفتاة التى ازداد حبه لها يومًا بعد يوم، لذا فقد صار يقوم بعمله بسهولة متناهية، فبدا له نوع من المتعة واللهو، وعمل فى الحديقة كما لو أنه متمرس على هذا العمل منذ سنوات طويلة.

فرحت ميلادا كثيرًا بالبستانى الجديد، ولم تجد كلمات المديح التى تفى فويتا حقه، فلم تسمح لأحد أيًا كان أن يمسه بسوء، وكانت تستيقظ كل صباح تشم أريج الأزهار اليانعة الموضوعة على الطاولة فى مزهريات رائعة، وهكذا كان الحال فى الحجرات الأخرى، فقد كانت الأميرة تشم فى كل غرفة رائحة جديدة مختلفة أشد تأثيرًا من سابقتها، وكانت تخرج إلى الحديقة، وتشعر كأنها تسير على سندس أخضر، كما كانت تجد بها شيئًا جديدًا فى كل يوم، فمرة تجد ضفيرة من النباتات المتسلقة، ومرة أخرى تكعيبة رائعة، وتارة ترى باقة منسقة من الزهور، وكان أبدع ما فى الحديقة هو الكشك المظلل بأنواع نادرة من الورود والنباتات، حيث كانت الأميرة تقضى معظم فترات النهار، فقد كانت الحوائط مغطاة بنباتات فريدة، كما كانت على الطاولة أوان بللورية مليئة دومًا بأشهى وألذ الفواكه المعدة خصيصًا لها، وقد كانت ميلادا دائمًا تقول للبستانى الجديد:

ــ إن كل شىء تحت إشرافك صار ينمو هنا بشكل مذهل، ولا أعرف سببًا لهذا الأمر.

وكان فويتا يقبل اليد الممدودة له، ويمتع ناظريه بالابتسامة المرتسمة على وجه الأميرة، ويقول لها:

ــ وكيف لا ينمو على هذا النحو وهو يحظى بطلعتك البهية؟

وفى إحدى المرات، سألت الأميرة البستانى قائلة:

ـ هل كنت موجودًا فى المدينة فى الأيام الثلاثة التى تجمع فيها الأمراء؟ وهل رأيت الفارس ذا الشعر الذهبى؟

أجاب فويتا:

ـ إننى فى حقيقة الأمر لم أره وجهًا لوجه، لكننى سمعت عنه الكثير، وأستطيع أن أخبرك أن إنسانًا مثله يرحل ثلاث مرات، هو بالتأكيد شخص لا يتسم بالكياسة ولا التهذيب، حتى ولو كان مصنوعًا من الألماظ.

قالت الأميرة بلهجة حزينة:

ـ ربما كان هناك سر فى الأمر لا يعرفه أحد.

ثم دفنت رأسها بين الورود، كى لا يرى فويتا دموعها التى انهمرت على وجنتيها، لكن فويتا عندما لمحها نسى كلمات أمه، وركع عند قدميها من فرط سعادته، غير أنه سرعان ما تذكر تحذير الأم فاتجه بنظره إلى الأرض، وانشغل فى عمله كما لو أن شيئًا لم يحدث.

كان الملك فى بعض الأحيان يذهب إلى ابنته فى الحديقة، وكان يتحدث كذلك مع البستانى، لكن فويتا كان حذرًا حتى لا يزل لسانه بما يفضح أمره للملك، وانقضى وقت طويل على فويتا فى القصر، وكان الجميع يحبونه ويقدرون طيبته واجتهاده فى عمله.

وفى إحدى المرات ذهب فويتا فى الصباح الباكر إلى جناح الأميرة، حاملاً سلة الورد كالعادة، وكانت إحدى وصيفات الأميرة تجلس دائمًا فى انتظاره، وما إن دخل الغرفة حتى رأى الأميرة ترتدى ملابس سوداء، والدموع تسيل على وجهها، وقالت له:

ـ خذ ورود الفرح هذه بعيدًا يا فويتا، وأتنى بباقة من ورود الحزن.

فأجاب البستانى:

ـ ما هو الشىء الفظيع الذى حدث لك يا أرق الأميرات؟ فأنا حقًا لم أسمع عن أى حادث ألم بك.

ـ إن الأمر لا يخصنى بمفردى أيها البستانى، ففى وقت متأخر من مساء الأمس، حضر رسول إلى أبى يخبره عن تحرك أعداد غفيرة من الأعداء نحو أرضنا، فكيف لنا أن نحشد عددًا كافيًا من المحاربين لصد مثل هذا الهجوم؟

ـ ألا يمكنكم طلب العون من جيرانكم؟

ـ لقد أصبح من الصعب أن يوافق أحد من جيراننا على مساعدتنا، فقد تملك منهم الغضب والكراهية نحونا، بعد أن رفضت الزواج بأحد منهم.

ـ فلتكن ثقتك بالرب كبيرة، فهو بالتأكيد سوف يرسل لكم من يخلصكم من هذا البلاء.

بتلك الكلمات أراد فويتا الأحدب أن يطمئنها، ثم انسحب ببطء من الغرفة حاملاً الورود التى كان قد جاء بها.

وفى اليوم التالى، تجمعت أمام القصر أعداد غفيرة من الرجال المسلحين، ثم تحرك الحشد يخترق الحقول، يتقدمهم ملكهم وابنته الشجاعة التى أصرت على الذهاب مع أبيها العجوز، فقد أرادت الابنة أن تعتنى به كى تعوضه عن غياب الابن والصهر، وعند مغادرتها القصر قامت الأميرة بتوديع فويتا، وطلبت منه أن يعتنى بحديقتها المعشوقة، فوعدها فويتا بأن يفعل ما تريد، لكنه فى حقيقة الأمر كان يفكر بشكل آخر، ففى اليوم التالى اختفى فويتا من القصر، تاركًا خلفه كل شىء، إلا أنه أغلق بوابة الحديقة قبل رحيله كى لا يدخلها إنسان فى غيابه.

سار الملك للمواجهة حتى أصبح قريبًا من العدو، فنصبت الخيام، وجرى الاستعداد للحرب أو للموت المحقق، فعلى مرمى البصر كانت هناك جيوش العدو تملأ الساحة، وكان عددهم عشرة أضعاف جيش الملك، ووقف الجيشان يواجه كل منهما الآخر فى انتظار إشارة بدء المعركة.

كانت ميلادا تنظر من خيمتها وهى ترتجف خوفًا، حين ظهر فى الساحة على حين غرة فرس أبيض يمتطى صهوته الشاب ذو الشعر الذهبي، كانت ملابسه تتلألأ تحت أشعة الشمس، وترفرف ريشة بيضاء فوق خوذته الزرقاء المطعمة بقطع الماس، وقد قبض بإحدى يديه على اللجام الذهبى للفرس الأبيض، وأشهر بيده الأخرى سيفًا فولاذيًا صغيرًا.

وما إن لمحته ميلادا حتى صار قلبها يخفق بشدة، واحمرت وجنتاها كزهور الربيع، وزال الخوف عنها تمامًا، ركض الشاب بفرسه حتى وصل إلى مقدمة جيش الأب، ورفع سيفه عاليًا ثم صرخ قائلاً:

"فلتسقط رءوس هؤلاء الأعداء".

وعلى الفور سقط الصف الأول للأعداء من فوق خيولهم بعد أن تطايرت رءوسهم، ولكن سرعان ما ظهر صف آخر مكان المتساقطين، ومرة أخرى أشهر الشاب سيفه، وإذا بالرءوس تتهاوى على الأرض، ومرة ثالثة فرابعة، حتى لم يبق من المهاجمين أحد على قيد الحياة، ولم تكد تسقط آخر رءوس الأعداء، حتى أدار الفارس لجام فرسه، وانطلق من حيث أتى، فشعرت ميلادا وكأنها قد طردت من الجنة، وألقى بها فى صحراء قفراء، واكتسى وجهها بحزن عميق.

عاد جيش الملك المنتصر محملاً بالعديد من الغنائم التى غنمها من خيام العدو، لكن فويتا كان قد سبقهم، وقبل أن تصل ميلادا ووالدها، كان القصر بأكمله

قد تحول إلى حديقة كبيرة، ولكن أجمل أجزاء القصر كان جناح ميلادا الذى تم إعداده إعدادًا خاصًا.

وما إن دخلت الأميرة إلى القصر وشاهدت الكم الهائل من الزهور حتى هتفت فى دهشة تقول:

ــ يا للروعة يا فويتا، من أين أتيت بكل هذه الزهور البديعة؟ هل سرقت كل الحدائق المجاورة؟

رد فويتا:

ــ أيتها الأميرة العزيزة، إن جميع الرعايا فى مملكتك يحبون تقديم ما يسعدك، وقد أتى الناس بكل هذه الأزهار إلى القصر، ولم أقطف وردة واحدة من حديقتنا.

لم يكن فى قول البستانى شىء من الحقيقة، فقد أحضر فويتا من حديقة الصخرة أجمل الأزهار حتى يسعد محبوبته، لكن الأميرة ظلت حزينة منذ عودتها، ولم ير أحد على وجهها الصبوح الابتسامة الرقيقة التى اعتادوا على رؤيتها سابقًا، وقد لاحظ فويتا أن الأميرة تخفى دموعها فى كثير من الأحيان، مما أصابه بالحزن والكدر، وقرر أن يذهب لأمه يرجوها أن تسمح له بكشف حقيقته للأميرة.

لاحظت ميلادا أن صحة أبيها فى تدهور مستمر، وكانت تعلم أن زواجها سوف يخفف عنه كثيرًا فى أيامه الأخيرة، كما أنها لم تستطع أن ترفض رجاءه المستمر لها بالزواج، لذا وعدته الأميرة أن تختار أحد النبلاء الشجعان الذين كانوا يطلبون يدها، وقد أسعد هذا الوعد الملك كثيرا، فقام بدعوة العديد من الضيوف للحضور إلى حفل كبير فى القصر، وكان من بينهم أكثر من زوج مناسب.

قبل الحفل بثمانية أيام انشغل الجميع بالإعداد له، وشكا الطهاة أن الفترة قصيرة لإعداد ألوان الطعام والأطباق المناسبة للحفل، كما احتار الخياطون فى عدد الملابس المطلوبة لعرس الأميرة وزفافها، وفى نوعية ثوب الزفاف اللائق بأميرتهم، وعمت حالة الاستعداد والتأهب أرجاء المدينة بأسرها، لكن ميلادا كانت تسير فى القصر كالشاة الضالة، كما كانت دائمة البكاء فى الخفاء، ولم تستطع أن تجهر به أمام الوصيفات والحاشية.

أخذت العربات التى تجرها الخيول تتجمع أمام بوابة القصر، وفردت الموائد لاستقبال الضيوف، وعزفت الموسيقى الاحتفالية تتردد أصواتها بين جنبات القصر، لكن العروس ظلت جالسة فى حجرتها دون أن ترتدى ملابس الحفل، وصارت تتطلع بحزن إلى الحديقة، وفى هذا الوقت كان فويتا فى الحديقة يجمع الورود كى يصنع الباقة التى طلبتها الأميرة لتزين طاولتها، ثم جلس البستانى أسفل إحدى الأشجار، ووضع الورود التى جمعها بين قدميه، ونزع الجلد عن رأسه، انتفضت ميلادا من الدهشة حين رأت فويتا العجوز يخفى تحت جلد الماعز شعره الذهبى الذى انساب على وجنتيه، نزع فويتا من رأسه ثلاث شعرات ذهبية، وربط بها الباقة، ثم عاد ليخفى رأسه سريعًا ويغطيها بالجلد، لكن ميلادا قد عرفت ما يكفى من الحقيقة فارتسمت الابتسامة على وجهها، ولمعت عيناها ببريق الفرح، ثم استدعت وصيفتها كى تعد لها أجمل ملابسها، وعندما دخلت الأميرة إلى القاعة كان الجميع فى انتظارها، وانبهر الحضور بجمالها الأخاذ، وتلهف النبلاء الشبان على معرفة المحظوظ الذى ستصبح من نصيبه الباقة الجميلة، وبعد أن جلس الجميع قال الأب:

ــ والآن يا ابنتى العــزيزة احملى باقة الزهور، وأعطيها لمن اخترتيه زوجًا لك.

فأمسكت ميلادا بالباقة وقالت:

ــ من أعد لى هذه الباقة هو من أعشق، ولن أقبل غيره زوجًا لى.

صرخ الملك:

ــ أفيقى يا ابنتى الحبيبة، ما هذا الذى تقولينه؟ إن من أعد الباقة هو فويتا البستانى القبيح.

ــ أعلم يا والدى العزيز، وإن هذا البستانى القبيح تحديدًا سوف يكون زوجى.

أتمت ميلادا عبارتها ثم أرسلت أحد الخدم كى يستدعى البستانى، لكن الخادم أخبر فويتا عن سبب طلب الاميرة له؛ لذلك طلب فويتا من الخادم أن يبلغهم بأنه سوف يلحق به بعد لحظات، ولم تمض سوى لحظات، حتى دخل فويتا القاعة وهو فى كامل هيئته الرائعة، فاندفعت العروس لاستقباله فى سعادة غامرة، وصارت تقدمه للجميع كزوجها، كان الأب فى دهشة شديدة من أمره حين سألته الأميرة قائلة:

ــ ألست غاضبًا منى يا أبى لاختيارى فويتا القبيح؟

ابتسم الأب وقد ارتسمت على وجهه أمارات السعادة والرضى، وبارك زواجهما بقلب يفيض بالفرح، ثم جلس الخطيبان إلى الطاولة، واستغرقا فى حديث طويل، فقد كان هناك الكثير والكثير مما يجب أن يقوله كل منهما للآخر، وهنا عرف فويتا سبب اختيار ميلادا له كزوج لها، وظلت الأميرة تمطره بالأسئلة وتلح عليه كى تعرف سبب إخفائه حقيقته طوال هذا الوقت، إلا أنه لم يجب على تساؤلاتها، وفى اليوم التالى أقيم حفل زفاف وتتويج لفويتا وميلادا.

وعندما كان الجميع فى قمة السعادة والفرح، تسلل الملك الشاب خارجًا دون أن يراه أحد، وامتطى فرسه منطلقًا بسرعة إلى الصخرة، حيث كانت أمه فى انتظاره، وما إن دخل الصخرة، حتى قال وهو يمسح بيده على عنق الحصان:

ـ آه، لا أدرى كيف أشكرك يا أمى، لقد فعلت خيرًا بتنفيذ كل نصائحك التى جعلتنى أسعد إنسان فى العالم.

ـ اسمعنى جيدًا يا ولدى الحبيب، لقد أرشدتك إلى طريق الحصول على السيف العجيب، والذى استطعت بواسطته أن تحصل على سعادتك، كما قدمت لك العديد من النصائح والمساعدات المفيدة، وفى المقابل أريدك أن تقطع رقبتى بهذا السيف أيضًا، كى أتحرر من سجنى فى جسم هذا الفرس، وبعد ذلك تستطيع أن تقص على زوجتك كل شىء.

ـ كيف تطلبين منى طلبًا كهذا يا أماه؟

ـ لو لم تفعل ما أطلبه منك، لأصبح كلانا تعسًا إلى الأبد.

أسقط الأمر فى يد فويتا المسكين، ولم يستطع أن يقول شيئًا، فأمسك بالسيف، وبضربة واحدة قطع رأس الحصان الأبيض، وعندئذ طارت من الرأس حمامة بيضاء، وطارت محلقة خارج الصخرة نحو السماء، وسار فويتا حزينًا خلفها حتى الباب، ثم عاد ثانية وملأ جيوبه بالفاكهة اللذيذة كى يحملها إلى محبوبته ميلادا، وعندما خرج من المكان أغلقت خلفه الصخرة إلى الأبد.

بعد أن حل المساء، عاد فويتا إلى القصر وهو فى حالة مزرية، وكانت تعم القصر حالة من البلبلة بسبب اختفائه المفاجئ، أما ميلادا فقد جلست فى غرفتها دون أن تدرك المبرر لخروج فويتا فى يوم زفافه، وفى هذه اللحظة انفتح الباب برفق ودخل فويتا.

ـــ آه يا فويتا، لقد جعلت الفزع ينهش جسمى، أين كنت طوال النهار؟

ـــ اغفرى لى يا عزيزتى ميلادا، فقد كنت أودع أمى.

ثم قص عليها فويتا كل ما جرى معه، وبعد أن انتهى من حديثه، وضع يده فى جيبه كى يثبت لها أنه كان يفكر فيها حتى فى أشد اللحظات ألمًا وحزنًا، ولكن بدلا من التفاحة الناعمة الطرية، أخرج تفاحة جامدة ذهبية، وهكذا كانت بقية الفواكه كلها من الذهب الخالص، عدا عنقودًا من العنب الذى كانت حباته من الماس.

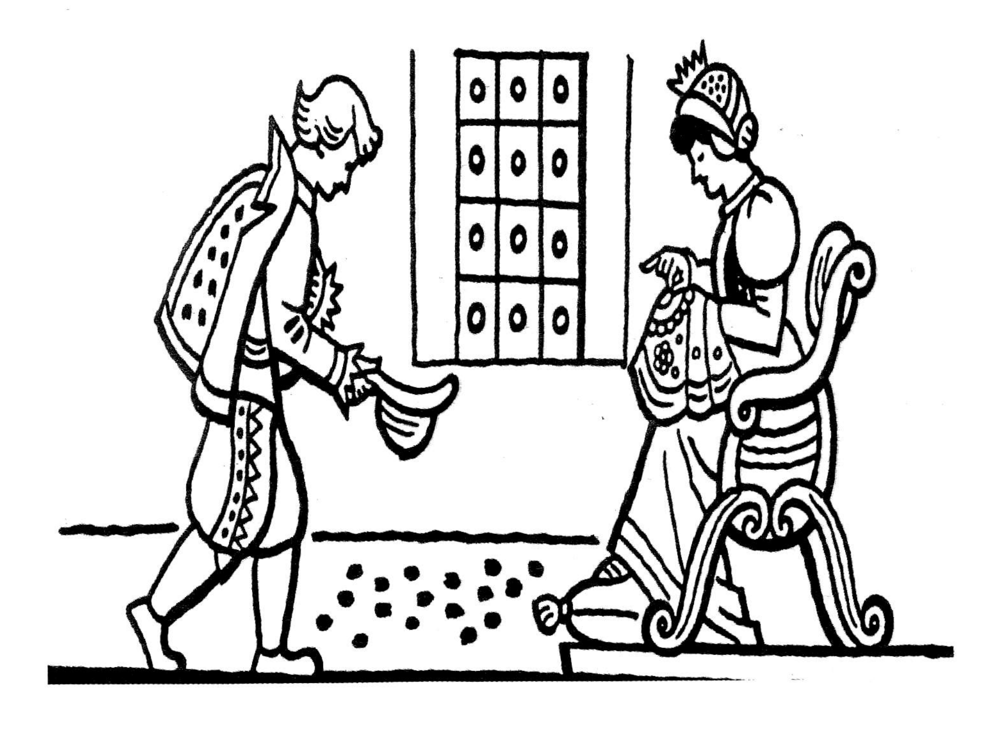
بعد أن أفاق فويتا من المفاجأة، تصنع العلم بالأمر، فوضع الفواكه الثمينة فوق قدمى ميلادا التى تقبلتها بسعادة كذكرى طيبة.

واستمرت الأفراح والاحتفالات لعدة أيام متواصلة، ثم أرسل الملك الشاب يستدعى والده.

وحتى هذه اللحظة كان الوالد فافرا حزينًا يفكر فى مصير ابنه المفقود، لكن ما إن وصلته الأنباء السارة، حتى كاد يجن من الفرح، فباع كل ما يملك، وذهب لرؤية ابنه الذى كان فى انتظاره، واستقبله استقبالاً باهرًا.

أنجبت ميلادا الجميلة لزوجها الكثير من الأبناء والبنات، وكانوا جميعًا على قدر كبير من الجمال، لكن أحدًا منهم لم يكن له شعر ذهبى كشعر أبيه.

الصائغ الحكيم



كان رادوش فى الثامنة عشرة من عمره عندما توفى والده، ولم يكن أمامه إلا أن يذهب للعمل كى يطعم نفسه، فقال محدثًا نفسه:

"ما دام العمل قد صار واجبًا على، فلأرحل إلى مدينة كبيرة، لعلى أجد فيها عملاً مستديمًا".

ثم جمع أغراضه ورحل إلى بلاد الله ، وفى مكان غير بعيد عن المدينة، ألقى عليه بالتحية سلطان العقل والحكمة، ومنذ هذه اللحظة أصبح ــ كما يقال ــ عاقلاً وحكيمًا، كما لو كان قد تدرب فى أرقى الجامعات والمعاهد العليا، وأصبح رادوش يجيد أى عمل يضع عليه يديه.

سار رادوش فى شوارع جميلة، حتى وقعت عيناه على دكان فاخر وأنيق لبيع المصوغات، وشاهد بداخله العديد من الصناع وهم يمارسون عملهم، فأعجبه كثيرًا ما رآه، وقال لنفسه: "لن أبحث عن عمل آخر، بل سوف أتعلم مهنة الصاغة وصناعة الحلى".

ثم دلف إلى الدكان بلا تردد، وألقى تحية مهذبة على الصائغ صاحب المكان، ورجاه أن يقبله لديه ليعلمه فنون الحرفة، لكن الصائغ اعترض قائلاً:

ــ كيف لى أن أقبل تدريبك وقد تعديت عمر التعليم؟ وإذا بدأت الآن تلقينك أصول المهنة، فسوف يصبح عمرك ستة وعشرين عامًا عندما تنهى تعليمك، كما أننى لا أظن أن لديك المال الكافى لذلك الأمر.

فأجاب رادوش:

ــ فى الحقيقة يا سيدى أنا لا أملك أية نقود لأدفعها مقابل تعليمى، لكننى أعدك أن تكون راضيًا عني، وأن جهدك المبذول فى تعليمى لن يضيع سدى.

قال الصائغ بعد تفكير:

ــ فلتبق إذن لنرى موهبتك.

ثم أشار له إلى المكان الذى يمكنه النوم فيه؛ فوضع رادوش أغراضه، وهيأ نفسه لإنجاز العمل الذى كلفه به الصائغ فى همة وحماس.

في بداية الأمر كان العمال في الدكان يضحكون من رادوش، ويرونه تلميذًا بطيئًا، لكنهم سرعان ما انبهروا بموهبته الفذة، وإجادته لكل ما يضع يده عليه؛ فبينما كان آخرون في حاجة إلى عامين كي يتعلموا عملاً ما، كان رادوش يتقن هذا العمل خلال أسبوع على الأكثر، وبعد مرور أربعة عشر يومًا، كان يصنع خواتم وأساور وأقراطًا بديعة الصنع، تضفي السعادة على من ينظر إليها من فرط جمالها، قال الصائغ محدثًا زوجته:

ـ لا أدري ماذا أقول عن رادوش، إنه يسلبني عقلي من مهارته الفائقة، فهل كان ملمًّا بهذه المهنة قبل أن يأتي إلي؟ أم أنه من مواليد كوكب السعادة؟

فقالت الزوجة:

ـ لا أظن أنه قد كذب عليك، فأنا أشعر دائمًا بصدقه وإخلاصه.

وهكذا، دافعت الزوجة عن التلميذ الذي كان أيضًا في خدمتها، وبعد مضي أربعة أسابيع، كان رادوش قد تعلم كل أصول الحرفة وفنونها، وأصبح الصائغ يحبه كثيرًا.

وفي يوم من الأيام، كان الفتى يتجول مع الصائغ في شوارع المدينة الكبيرة التي كان يحكمها أحد الملوك، ورأى جمجمة مغروسة فوق إحدى البوابات، فسأل رادوش الصائغ عن سر أمرها، ورد الصائغ قائلاً:

ـ إن ملكنا لديه ابنة وحيدة، وهي فتاة رائعة الجمال، لا تجد لفتنتها مثيلاً، ومنذ أن كانت في الثانية عشرة من عمرها لم تنطق بكلمة واحدة، ولم يعرف أحد حتى الآن إن كان السبب في ذلك إرادة الله، أم أنها لا تتكلم بإرادتها، وقد جاء إليها العديد من أشهر الأطباء والحكماء، لكن أحدًا منهم لم يستطع أن يجعلها تتكلم،

وعلى الرغم من صمتها، فإنها كانت تقوم بالقراءة وتركب الخيل، وتقوم بالعديد من الأعمال الجيدة، لكنها تفعل كل هذا دون أن تنطق بحرف، وقد زارتها عرافة حكيمة منذ ثلاث سنوات، وقالت إن الأميرة ليبينا واقعة تحت تأثير قوة سحرية مجهولة، وإن هذا السحر لن يزول عنها حتى يأتيها شاب يعيد الكلام إليها، فأعلن الملك بأنه سوف يزوج ابنته لمن يستطيع أن يجعلها تتكلم، سواء كان الشاب غنيًا أم فقيرًا، وسرعان ما ذهب العديد من الناس على مختلف أشكالهم إلى الفتاة، فكانوا يسببون الضيق والإزعاج للأميرة، ولم ينجحوا فى شفائها، وغضب الملك كثيرًا من هذا الأمر، وكذلك ضاقت الأميرة بهم، فاعتكفت بجناحها، ولم تغادره، أما الملك فأعلن مجددًا بين الناس، أن من يفشل فى شفاء ابنته فى غضون ثلاثة أيام سوف يفقد رأسه، وبعد هذا الإعلان توقف تدفق الناس إلى القصر، لكن بعد مرور بعض الوقت، تقدم شاب جسور ذو بنية قوية، وسمح له الملك بمحاولة شفاء الأميرة، ويقال إن الفتى ظل راكعًا أمام الأميرة لثلاثة أيام يرجوها أن تنطق كلمة واحدة، لكنها ظلت على صمتها، ولم ترمش حتى بعينيها، وهكذا، طار رأس المسكين بعد اليوم الثالث، وقاموا بغرسه فوق السور لترهيب الناس، ومنذ ذلك الوقت لم يتقدم أحد آخر للمحاولة، وقد انقضى العام الخامس والأميرة لا تتكلم.

تعجب رادوش كثيرًا لما سمعه، كما أنه شعر بالأسى إزاء الجميلة ليبينا، ومر عام على وجود رادوش عند الصائغ الذى أحبه كثيرًا، وصار يقول لزوجته:

ـ إذا احتفظ رادوش بطيبته فسوف آخذه ابنًا لى عوضًا عن حرماننا من الأبناء.

وفى أحد الأيام أتى إلى الصائغ رسول من الملك، وطلب منه صناعة بعض الحلى للأميرة، على أن تكون على قدر رفيع من الجمال، ولا نظير لها فى العالم،

كما يجب أن تصنع من أثمن الأحجار الكريمة وأندرها، فوعده الصائغ أن يبذل قصارى جهده، وما إن انصرف الرسول الملكى من الدكان، حتى أخذ الصائغ يحك أذنيه وقد تملكته الحيرة، فكيف له أن يصنع ما طلب منه؟ ولمن يعهد بتنفيذ المطلب الصعب؟ سأله رادوش:

ـ ما لى أراك حائرًا يا سيدى؟ ما الذى يشغل بالك على هذا النحو؟

صارحه الصائغ بسبب حيرته، فاندفع رادوش قائلاً بحماس:

ـ لا تحمل همًّا يا معلمى، فسوف آخذ هذه المهمة على عاتقى، وكن متأكدًا أن الملك سوف يكون راضيًا عنى.

ـ وهل تعتقد يا رادوش أنك تستطيع القيام بالعمل الذى أخشى أنا القيام به؟ أخاف أن أعطيك هذا الكم الكبير من الذهب والأحجار الكريمة حتى لا تفسدهم.

ـ اسمح لى إذن أن أجرب مهارتى فى شىء صغير، ولو أعجبتك التجربة فدعنى أنفذ العمل الحقيقى بأكمله.

اقتنع الصائغ بما قاله رادوش، وأعطاه بعض الذهب وقطعة صغيرة من حجر كريم، وفى الحال شرع رادوش فى العمل، وكانت دهشة الصائغ كبيرة عندما أحضر له رداوش خاتمًا رائعًا مصنوعًا، فهو لم ير له مثيلاً فى حياته، وبعد ذلك أعطاه كل ما يحتاجه من ذهب وماس كى يصنع بقية الحلى المطلوبة.

انكب رادوش على العمل، وكان يهتم بكل التفاصيل اهتمامًا بالغًا، وبعد أن انتهى من صناعة الحلى، قام بصنع علبة رائعة من الفضة، ثم وضع المصوغات بداخلها فى ترتيب أنيق، وذهب بها إلى الصائغ.

عندما رأى الصائغ التحف البديعة التى صنعها تلميذه، أمسك بكتفى رادوش وقال له:

ـــ لقد صرت أنت المعلم أيها الفتى منذ هذه اللحظة، فلم يعد لدى ما ألقنه لك، بعد أن تفوقت على بمهارتك فى هذه الحرفة بخطوات كثيرة.

لقد كان حقًّا عملاً رائعًا لا يستطيع تنفيذه أحد آخر، فلم يدر الناظر إليه ما الذى يجب مدحه أولاً، هل هو السوار المدهش؟ أم أنها الأساور الساحرة؟ أم الأقراط الجميلة؟ أم بقية الأشياء الصغيرة البديعة الصنع؟ فقد بدت كل الخيوط كما لو أنها قد غزلت بمعرفة عنكبوت ماهر، وظهرت الأزهار المنقوشة فوق الحلى وكأنها قد نبتت لتوها من الأرض.

سأل الصائغ المنبهر رادوش:

ـــ ماذا يمكننى أن أقدم لك مقابل هذا العمل؟

رد رادوش:

ـــ لا شيء، اسمح لى فقط أن أحمل هذه المصوغات بنفسى، وأقدمها إلى الملك.

وافق الصائغ على طلب الفتى دون تفكير، وذهب رادوش إلى القصر الملكى، وأخبر الحراس أنه يحمل المصوغات المطلوبة، فأدخلوه إلى الملك.

سجد رادوش تبجيلاً واحترامًا، وأعطى الملك العلبة الفضية، وما إن فتحها الملك، حتى أشرق وجهه بإعجاب واضح وهو يتفحص المصوغات، ثم قال:

ـــ أخبرنى أيها الفتى، من الذى قام بهذا العمل؟

فأجاب رادوش:

ـ أنا يا جلالة الملك.

قال الملك:

ـ أيها الفتى، إنك حقًا فنان ماهر، لم أر مثله من قبل، فاطلب ما تشاء وأنا أحققه لك.

وما إن سمع رادوش كلمات الملك، حتى كاد يبكى من فرط سعادته، وقال:

ـ لقد سمعت يا جلالة الملك أنكم تمنحون الفرصة لمن يحاول علاج الأميرة، فهل تسمح لى سموك بأن أحاول أنا الآخر؟

قال رادوش قوله وانتظر الإجابة والخوف يتملكه، فرد الملك:

ـ بالطبع يمكنك المحاولة، لكننى أخشى أن تفشل فى ذلك الأمر، فهل تعرف ماذا ينتظرك فى حال فشلك؟

ـ أعرف جيدًا يا جلالة الملك، ولكنى حتى لو لم أنجح، فسوف أموت راضيًا.

استدعى الملك حارسه، وأمره أن يصحب رادوش إلى حجرة الأميرة، وأن يتركه معها، وأشار له بإشارة متفق عليها، أدرك الحارس المغزى من ورائها، وهو أن يتنصّت عليها ليعرف كيفية سير الأمور.

قاد الحارس رادوش عبر العديد من الغرف والممرات، حتى وصلا إلى قاعة رائعة الجمال كالفردوس، فقد كان هناك العديد من الأزهار، والأشجار والذهب والفضة، والبُسُط الحريرية وغيرها من الأشياء الجميلة، وقد أضاء المكان

نور هادئ من أشعة الشمس التى تسربت عبر نوافذ ملونة، وانعكس ضوؤها من على الأرض الرخامية فوق كل شيء، وفى واجهة القاعة علقت ستائر ثقيلة من السقف إلى الأرض، فأزاحها الحارس برفق، وأشار إلى رادوش بيديه كى يدخل الحجرة.

كانت الغرفة صغيرة فاخرة، وقد تم ترتيبها على نحو يجعل المرء يشعر بالراحة بمجرد أن يدخلها، وقد كانت الأميرة ليبينا هى أجمل ما فى الغرفة، وعند دخول رادوش كانت الأميرة جالسة بالقرب من النافذة، وهى تغزل قماشًا بخيوط ذهبية، ولم ترفع عينيها لترى القادم، وكان وجهها جامدًا كالصخر لا ينبض فى عروقه الدم، فقد بدت جميلة ولكن بلا حياة، مثلها مثل صورتها الكبيرة المعلقة على الحائط بجوارها فى إطار ذهبى، رماها رادوش بنظرة فاحصة، ثم انحنى أمامها ووقف أمام صورتها وقال:

ــ أخبرينى أيتها الصورة الجميلة، هناك حرب ضروس تدور بين ثلاثة أشخاص فى قصر بعيد، حيث يعيش به مثّال نحت فتاة، وحائك خاط لها الثياب، وخطيب منحها الكلام، فمن منهم هو الجدير بها؟

ردت الأميرة:

ــ إنها بالطبع للخطيب الذى منحها الكلام.

ثم عادت إلى صمتها تستكمل ما كانت تغزله، فخرج رادوش من الغرفة وهو ينحنى لها باحترام، لكن الحارس الحقود أبلغ الملك أن الأميرة لم تنطق بكلمة، فاضطر رادوش للبقاء فى القصر حيث أعدت له حجرة خاصة يبيت بها.

فى هذه الأثناء احتار الصائغ فيما يفعله، وذلك عندما أتى إليه خادم القصر بالمال مقابل المصوغات، وأخبره بأن رفيقه سوف يعود بعد ثلاثة أيام.

فى اليوم الثانى اصطحبوا رادوش ثانية إلى غرفة الأميرة، وتكرر ما جرى فى اليوم السابق، فوقف الفتى أمام الصورة وقال:

ـ أخبرينى أيتها الصورة الجميلة، هناك حرب ضروس تدور فى قصر بعيد، حيث يعيش به مثّال نحت فتاة، وحائك خاط لها الثياب، وخطيب منحها الكلام، فمن منهم هو الجدير بها؟

ردت الأميرة:

ـ لقد قلت لك بالأمس إنها للخطيب الذى منحها الكلام.

لكن الحارس الحسود الذى سمع الأميرة، لم يرغب أن يكون النجاح حليف رادوش، فمن الممكن أن يصبح ملكًا بعد ذلك، لذلك أخبر الملك أن الأميرة لم تنطق بحرف، فتم التحفظ على رادوش فى القصر ثانية.

وفى اليوم الثالث ذهب الملك ليسمع بنفسه ما يجرى، ودخل رادوش إلى الغرفة، ومرة أخرى سأل الصورة:

ـ أخبرينى أيتها الصورة الجميلة، هناك حرب ضروس تدور فى قصر بعيد، حيث يعيش به مثّال نحت فتاة، وحائك خاط لها الثياب، وخطيب منحها الكلام، فمن منهم هو الجدير بها؟

قالت الأميرة:

ـ لقد قلت لك مرتين إنها للخطيب، فَلِمَ لا ترضى بحكمى أيها الفتى؟

أتمت الأميرة عبارتها، ثم وقفت فى مكانها، وهنا قفز الملك مسرعًا إلى الغرفة، وأخذ يقبل ابنته وهو يبكى بحرارة، ثم أمسك بيد رادوش وقال:

ــ لقد جعلتنى أبًا سعيدًا أيها الشاب، وأعدت البهجة إلى قلبى الحزين، فكن ابنا لى، وملكًا على البلاد، فإنى أقر بأنك الأكثر حكمة من بين كل الآخرين.

أجاب رادوش:

ــ مولاى العزيز، كيف لى أن أكون ملكًا وأنا من أصل فقير، ولا أعرف سلوك الملوك؟ كما أننى لا أظن أن الأميرة الجميلة سوف تقبلنى زوجًا لها.

قالت الأميرة:

ــ لقد حررتنى بحكمتك من سيطرة السحر، وأنا لن أقبل بغيرك زوجًا لى، ثم مدت يدها نحوه، فقبلها بحب بالغ.

وعلى الفور أعلن الخبر فى المدينة، بأن الأميرة قد شفيت من سحرها، وأن من حررها عامل بسيط من الصاغة، فأسرع الصائغ العجوز إلى القصر ليتأكد من صحة الخبر، وما إن رآه رادوش، حتى قدمه للملك قائلاً:

ــ إن هذا المعلم هو أستاذى الطيب الذى لقننى فنون الحرفة.

شكر الصائغ الرب على أنه أرسل له مثل هذا التلميذ النجيب.

وبعد مرور وقت قصير، أقيمت الأفراح والليالى الملاح، وكانت العروس الملكة متألقة وهى ترتدى المصوغات التى صنعها لها العريس بنفسه، وحكم رادوش البلاد بحكمة لم يسبقه إليها أحد من قبل، فساد العدل والرخاء أرجاء المملكة. وصار الناس يدعون له فى القيام والقعود، وأنجب رادوش بضعة من

الأبناء، وقد جعل كلاً منهم يتعلم حرفة فى صغره، ولم يحصل أحد منهم على لقب إلا عن جدارة واستحقاق، فهل ألقى عليهم سلطان العقل والحكمة بتحيته مثلما فعل مع والدهم؟ هذا غير معروف.

الأمير باباى



اضطر الملك الشاب أن يودع زوجته ويذهب إلى الحرب، وبعد فترة قصيرة من رحيل الملك وضعت الملكة توأمًا من الأولاد، فعمت الأفراح البلاد، وذهب رسول إلى الملك يخبره بالنبأ السعيد.

كان الولدان يتمتعان بصحة جيدة، وكانا ينموان بصورة سريعة، وكان أحدهما ـ وهو الأكبر ببضعة لحظات ـ أكثر قدرة من الآخر على التكيف مع العالم، وقد ظلا على هذا النحو حتى بعد أن كبرا قليلاً، وكان الأخ الأكبر دائم اللعب فى ساحة القصر، حيث كان يركض ويقفز ويمرح مع فرس فى مثل عمره،

أما الآخر فكان يلهو جالسًا على البُسُط الناعمة بالقرب من أمه، ولم يكن يخرج إلا معها فى حديقة القصر؛ ولذا فقد أحبته الأم أكثر من الآخر وأصبح ولدها المدَلل، وعندما عاد الملك من الحرب كان الولدان قد بلغا السابعة من العمر، وضم الملك زوجته وأولاده إلى صدره بسعادة عارمة، ثم سأل الملكة قائلاً:

ـ أيهما الأكبر؟ وأيهما الأصغر؟

ظنت الملكة أن زوجها يسأل كى يعرف أيهما سيكون خليفته على العرش، فقدمت له ولدها المدلل على أنه الأكبر، لكن الملك أحب كليهما بالقدر نفسه، وبعد أن صارا فى سن الشباب رأى الأكبر أخيه وقد نصب وليا للعهد، فآلمه ذلك الأمر كثيرًا، ولم يطق البقاء، وأراد أن يرحل إلى بلاد الله خلق الله.

وفى إحدى المرات جلس يشكو لفرسه آلامه، وأخبره عن رغبته فى الرحيل عن القصر.

فأجابه الفرس بصوت آدمى وقال:

ـ مادمت لا تريد البقاء هنا فاخرج إلى العالم، ولكن لا تخطو خطوة واحدة دون الحصول على موافقة أبيك، كما أنصحك بألا تمتطى حصانًا غيرى، حتى لا تجلب التعاسة لنفسك. تعجب الأمير من حديث الحصان إليه بصوت آدمى، وسأله:

ـ كيف يمكنك الكلام بلغة البشر؟

فأجاب الفرس:

ـ لا تسألنى عن هذا الأمر، فأنا أريد أن أكون حاميًا وناصحًا لك، مادمت تنفذ ما أقوله لك.

وعده الأمير أن يستمع إلى نصائحه، ثم دخل إلى القصر وطلب من والده السماح له بالخروج إلى العالم، وعندما علم والداه برغبته، رفض الأب بشكل قاطع أن يسمح له بالرحيل، لكن الأم وافقت على الفور، فلم يستسلم الأمير لرفض أبيه، وظل يرجو ويلح عليه حتى رضخ الملك لرغبته فى نهاية الأمر، وفى الحال تأهب الخدم والحراس والخيل للسفر مع الأمير، وما إن عرف الأمير بأمر هذه الاستعدادات حتى قال لوالده:

– ليس بى حاجة إلى كل هؤلاء المرافقين والخيول والخدم، فإنهم لن يفيدونى فى شيء، ويكفيني بعض المال آخذه معى، وسوف أمضى بمفردى فى هدوء على فرسى الصغير.

ومرة أخرى أخذ يرجو أبيه كى يسمح له بالذهاب وحده، وأخيرا أصبح كل شيء جاهزًا للرحلة، ووقف الفرس الصغير مسرجًا عند البوابة، فى انتظار الأمير الذى كان بأعلى يودع والديه وأخاه، وبكى الجميع بمرارة لفراقه، وفى اللحظة الأخيرة شعرت الملكة بالأسف لأنها تترك طفلها يخرج وحيدًا إلى العالم، وأمرته بحزم أن يعود إليها بعد عام، أو على الأقل يرسل لهم أخباره ليطمئنوا عليه.

وبعد مضى ساعات قليلة، كان الفرس يمضى به فى حقل واسع بعيدًا عن المدينة، وقد يعتقد البعض أنه لا يوجد فرس فى السابعة عشرة من عمره بهذا النشاط، لكن هذا الفرس لم يكن فرسًا عاديًا، فلم يتقدم به العمر، ظل الأمير يسير على الفرس تاركًا له العنان يقوده أينما شاء، حتى لاحت أمامه أبراج مدينة جميلة، وهنا، خرج الفرس عن الطريق عابرًا أحد الحقول، حتى وصل إلى صخرة كبيرة بالقرب من غابة كثيفة، ورفس الحصان بحوافره الصخرة فانشقت أمامهم، ودخلا من خلال الشق حتى وصلا إلى إسطبل كبير وأنيق، فقال الحصان للأمير:

ـ والآن سوف تتركنى هنا، وتذهب بمفردك إلى هذه المدينة القريبة، ثم تتوجه إلى قصر الملك، وعليك التظاهر بأنك أخرس لا تنطق، وهناك سوف يوظفك الملك للعمل لديه، وانتبه جيدًا حتى لا تفضح أمرك، وإن احتجت إلى شيء أيًا كان، فعد إلى الصخرة واقرعها ثلاث مرات، وسوف تتفتح لك.

قال الأمير لنفسه: "إن فرسى حكيم، وهو يعرف بالتأكيد أن فى هذا الأمر فائدة لى".

ثم حمل أغراضه وانطلق فى طريقه، لم تكن المدينة المأهولة بعيدة عن الصخرة فوصلها فى وقت وجيز، ثم توجه إلى القصر، وطلب مقابلة الملك الذى ما إن عرف بخرسه حتى أشفق عليه، وضمه إلى بلاطه ليكون قريبًا منه، وسرعان ما اكتشف الملك أن بإمكانه الاعتماد على الأخرس فى أمور كثيرة، فقد كان الفتى يجيد التصرف فى جميع المواقف، وكان دائم الحركة فى القصر لا يهدأ على حال، وعندما كان الملك فى حاجة إلى كاتب لم يكن هناك أمهر منه، ونال الفتى حب الجميع فى القصر، ولما كان الفتى أخرس، كان يجيب على أى شيء بكلمة "باباى"، لذلك أطلقوا عليه فى القصر هذا الاسم، ولم يناده أحد بغيره طوال الوقت.

كان لدى الملك ثلاث بنات، كل منهن أجمل من الأخرى، وكانت أكبرهن تدعي"زدوبينا"، والوسطى "بودينكا"، والصغرى "سلافينا"، وكان باباى يقضى أفضل أوقاته مع هؤلاء الفتيات، وقد كان مسموحًا له أن يقضى معهن اليوم بأكمله، فلم يكن الملك يظن أن إحدى الأميرات يمكن أن تعجب به، فالفتى أخرس لا يتكلم، ووجهه أسمر داكن لدرجة مخيفة، كما كان يضع عصابة فوق إحدى عينيه، على أى حال كانت الأميرات تحبه، وكن يصحبنه معهن أينما ذهبن، أما هو فقد كان يأتيهن بالأزهار اليانعة، ويعد لهن باقات الورود الجميلة، كما كان يرسم لهن مختلف أشكال الطيور والأزهار فوق خيوط النسيج، وكان كل ما يفعله يحوز على

إعجابهن، وكان الأخرس يقوم على خدمة الصغرى أكثر من الأخريات، وكان يجتهد فى كل ما يفعله لها، حتى أن الأختين الأكبر أخذتا من سلوكه نحو أختهما الصغرى مادة للسخرية منها، غير أنها لم تغضب من مزاحهما، فقد كانت طيبة القلب إلى أبعد الحدود.

وفى أحد الأيام دخل باباى إلى القاعة التى يتناول فيها الملك طعام الإفطار، ورأى الملك يجلس عابسًا شارد البال، فسأله بالإشارات عن سبب كربه، فنظر إليه الملك نظرة حزينة وقال:

ــ لماذا تسألنى أيها الفتى؟ ألم تسمع عن المحنة التى تهددنا؟ وعن الثلاثة أيام العصيبة التى تنتظرنا؟

هز باباى رأسه مشيرًا بأنه لا يعرف، وارتسمت على وجهه أمارات الفزع، فقال له الملك:

ــ حسنًا، سوف أخبرك عن سبب حزنى، على الرغم من أنك لن تستطيع مساعدتنا، فمنذ سنوات أتى إلى هنا ثلاثة من وحوش التنين، أحدهم بتسعة رءوس، والثانى بثمانية عشر رأسًا، والثالث بسبعة وعشرين رأسًا، وقد مضت أيام رهيبة على مدينتى، حتى أن شعر المرء كان يقف على رأسه من هول الفزع والرعب، وكان الناس دائمًا يختبئون خوفًا على حياتهم، ومع مرور الوقت، لم يعد فى المدينة تقريبًا أية ماشية تدب على الأرض، بعد أن قدمناها لهذه الوحوش كى لا تبدأ فى التهام البشر، وعلى الرغم من ذلك، فقد افترست الكثير من الناس فى البلاد، ولم أستطع رؤية هــذه اللعنــة وأنا مكتوف الأيدى، فأرسلت فى طلب ساحرة ماهرة كى تخبرنى عن الوسيلة للتخلص من هذه الوحــوش، وكانت صــدمتى كبيرة عندما أخبرتنى الساحرة أن الوسيلة الوحيدة لطردهم من أرض المملكة، هى الوعد بتقديم بناتى الثلاث ــ اللاتى كن فى هذا الوقت أطفالاً فى عمر الزهور ــ قربانًا

لهم، فوعدتهم بهذا الوعد المشئوم حتى أخرجهم من البلاد، وكنت أظن بأننى قد أجد حلاً آخر مع مرور الوقت، وماتت الملكة كمدًا بعد ذلك، لكن البنات لم يعلمن بهذا الأمر، ومنذ ذلك الوقت رحلت الوحوش عن المملكة، ولم أسمع عنها شيئًا عبر كل تلك السنين، وفى مساء الأمس أتانى راعى غنم يرتجف خوفًا، وأخبرنى أن الوحوش تجلس عند الصخرة التى مكثوا عندها فى السابق، وأنهم يزمجرون ويزأرون مزلزلين الأرض بصراخهم، آه، يالى من أب تعس الحظ، ففى الغد ينبغى على تقديم أولى بناتى فداء لوطنى، وبعد غد أضحى بالثانية، ثم الثالثة، وبعدها سوف أصبح بائسًا منكوبا إلى الأبد.

هكذا، جلس الملك المسكين ينعى حظه وهو ينزع الشعر من رأسه، وذهب باباى بوجه حزين إلى الأميرات، فوجدهن ارتدين الملابس السوداء وهن فى حالة من الفزع والوجوم، وكانت وجوههن كالرخام الأبيض، وقد جلسن الواحدة بجوار الأخرى يبكين شبابهن الذى قدر له الفناء بهذه الطريقة القاسية، فحاول باباى أن يهدئ من روعهم مشيرًا أن هناك بالتأكيد من يستطيع تخليصهم من الموت، لكن المسكينات لم يسمعنه، وظللن يسكبن الدموع بحرارة، وعم الحزن أرجاء المدينة بأسرها، لأن الكل قد أحب العائلة الملكية؛ لذلك اكتست المدينة بأكملها بالرايات السوداء.

خرج باباى من المدينة عابرًا الحقل الواسع نحو الصخرة التى يعيش بداخلها فرسه، ولما قرع عليها ثلاث مرات انشقت الصخرة أمامه فدخلها، ثم قبّل فرسه وصار يمسح على رقبته بيده قائلاً له:

ـ يا فرسى العزيز، لقد أتيت إليك طالبًا النصح، ولو ساعدتنى فى محنتى فسوف أكون سعيدًا إلى الأبد، ثم قص على الحصان كل ما حدث فى القصر، فقال الحصان:

– إننى أعرف كل ما حكيته، وقد أتيت بك إلى هنا لتساعد الأميرات، فعد إلىَّ غدًا فى الصباح الباكر، وسوف أخبرك بما تفعله.

عاد باباى إلى القصر والفرحة تغمره، ولو أن أحدًا رآه على هذا الحال لاعتبره وغدًا لا يشعر بالفاجعة التى ألمت بالملك، لكن أحدًا لم يره لحسن حظه، وأمضى باباى بقية اليوم مع الأميرات محاولاً التخفيف والترويح عنهم، وهو ما لم يستطع تحقيقه.

فى اليوم التالى ومع ظهور أول خيوط الصباح، كان باباى واقفًا عند الصخرة، فرحب به الفرس وقال:

– والآن ارفع الحجر الواقع تحت سرجى وأخرج ما تجده هناك.

نفذ باباى ما طلبه الفرس ورفع الحجر، فوجد أسفله حفرة فى الأرض، وأخرج من الحفرة صندوقًا كبيرًا، وطلب منه الفرس أن يقوم بفتحه، وبعد أن فتح الصندوق وجد بداخله ثلاث حلل فاخرة من الثياب، وسيفًا وسرجًا للفرس، كان أحد الثياب باللون الأحمر، مطعمًا بالفضة والألماظ، وكانت أجزاؤه الصلبة من الفولاذ اللامع، ومعه خوذة من اللون الأبيض والأحمر، أما الزى الثانى فكان باللون الأبيض، محلى بالذهب ومعه درع ذهبى وخوذة بيضاء، وكان الزى الثالث باللون السماوى، محلى بالعديد من اللآلئ والألماظ والفضة، ومعه خوذة باللونين الأزرق والأبيض، ولم يكن مع الحلل الثلاث إلا سيفًا واحدًا، وكانت قبضته تلمع بالأحجار الكريمة، وكذلك كان سرج الفرس، قال الفرس للفتى:

– إن هذه الملابس لك، ولكن عليك أن ترتدى أولاً الثياب الحمراء.

هيأ باباى نفسه، وتأهب واضعًا السيف فى غمده، ثم ألقى بالسرج واللجام على ظهر الفرس الذى قال له بعد أن خرجا من الصخرة:

ـ ينبغى علىَّ أن أحذرك ألا يصيبك الخوف فتتركنى وتترجل من فوق ظهرى، واضرب رءوس هذه الوحوش البشعة بسيفك واعتمد علىّ.

فى هذه الأثناء جرت فى القصر مراسم الوداع الحزين، وسار موكب من الناس لمرافقة المسكينة زدوبينا وهى تخرج من المدينة، وعندما أصبحوا قريبين من المكان المحدد نزلت الأميرة عن حصانها، وعندما اقتربت من صخرة الوحوش سقطت على الأرض فاقدة الوعى، وفى هذه اللحظة، لاح من بعيد فرس يقترب يمتطيه فارس بخوذة بيضاء وحمراء، وعندما وصل إليهم، أمر الناس أن يبتعدوا عن المكان حاملين معهم الأميرة، وأن يتركوه بمفرده، فنفذ الجميع أوامر الفارس بسعادة بالغة، لكن الأميرة رفضت الابتعاد كى ترى سير الأمور.

وصعد الناس بالأميرة فوق تلة قريبة يراقبون الأمر، وانشقت الصخرة وهى تزلزل الأرض من حولها، وخرج منها التنين ذو الرءوس التسع، وأخذ يتلفت باحثًا عن فريسته، وفى هذه اللحظة قفز باباى نحوه بفرسه شاهرًا سيفه، وبضربة واحدة قطع للتنين ثلاث رءوس، فترنح التنين قليلاً، ثم صار ينفث النار ويقفز قاذفًا السم فى كل اتجاه، لكن الأمير لم يتراجع واستمر يحصد الرءوس المتبقية، حتى قطعها كلها، وقام الفرس بهرس جسم التنين بحوافره.

بعد أن مات التنين، استدار الأمير وعاد من حيث أتى، وظلت زدوبينا تتابعه بعينيها فى إعجاب وانبهار، لكنها تذكرت أباها المنتظر، فأسرعت ومن معها عائدان إلى القصر، ولا تستطيع الكلمات وصف سعادة الأب عندما رأى ابنته حية أمام عينيه، وكانت سعادة الأختين كبيرة، بعد إدراكهما أن هذا المنقذ مادام قد فعلها مرة فسوف يأتى ثانية لإنقاذهن، وكان باباى يقول لهن بالإشارات: "عليكن التأكد أن الرب سوف يرسل لَكُنَّ من يخلصكن من المحنة".

وعلى الرغم من ذلك، فإنهن كُنَّ خائفان من اليوم التالى، لكنهن كُنَّ أكثر مرحًا، وأخذن يتبادلن الكلام مع باباى.

فى اليوم التالى، ذهبت بودينكا إلى صخرة الوحوش، وكما حدث فى اليوم الأول مع أختها تكرر معها، فما كادو أن يصلوا إلى المكان، حتى رأوا فارسًا بخوذة بيضاء يقترب، وما هى إلا لحظات قليلة، حتى كان يقاتل التنين ذا الرءوس الثمانية عشرة بشجاعة فائقة، حتى نفق المخلوق البشع، وبعد انتهاء المعركة، انصرف الناس كما فعلوا فى اليوم الأول، وبعد أن عادت الأميرة إلى القصر، أصاب الحزن الجميع لأن الفارس الجسور لم يمنحهم الفرصة لإظهار امتنانهم له.

وعندما اجتمعت الفتيات قالت سلافينا:

ــ إننى أعلم يا أخواتى أنكما لم تطلبا من هذا الفارس شيئًا، أما أنا فسوف أركع أمامه وأظل أرجوه أن يأتى معى حتى يفعل.

وهنا شاهدت زودبينا ابتسامة تعلو وجه الأخرس، فسألته:

ــ ماذا يضحكك يا باباى؟

فأخذ باباى يقفز فى الغرفة، وهو يشير بأنه يتشوق لرؤية هذا الفارس،

فقالت زدوبينا:

ــ إنه لم يأت بعد أيها المجنون.

وفى اليوم الثالث خرجت سلافينا، وفى هذه المرة ذهب معها الملك بنفسه، وكان وجه المسكينة يرتجف من الرعب عندما خطر لها أن الفارس قد لا يأتى لنجدتها، وأنها فى هذه الحالة سوف تصبح وجبة للتنين، وفى هذه اللحظة انطلقت صيحات الفرح بقدوم الفارس.

وكما قتل باباى الوحشين السابقين، صرع الثالث بعد معركة شرسة، كاد أن يسقط خلالها من الإعياء مع فرسه، وهنا، اقترب منه الملك وسلافينا، وطلبا منه أن يذهب معهما إلى القصر، لكن الفارس لم يوافق على طلبهم، فركعت سلافينا أمامه وأمسكت بيديه ترجوه بكل رفق وحب، حتى كاد قلب الأمير أن ينفطر من الانفعال، وفى هذه اللحظة، انتفض الحصان مبتعدًا عنهم، واختفى الفارس من جديد عن الأنظار.

عادت سلافينا مع أبيها إلى القصر وهى حزينة، لأنها لم تستطع أن تقدم العرفان لمخلصها، وكان الجميع يأملون أن يأتى الفارس معهم، ولكن خاب ظنهم.

ولم تدم حالة السعادة التى عمت الجميع طويلا، فقد أتاهم بلاء جديد، ففى أحد الأيام تسلم الملك دعوة إلى الحرب من الملك المجاور، وتملك الخوف من الملك، لأنه كان يعرف أن جيش جارهم يفوق جيشه فى العدد والسلاح بكثير، وفى الحال كتبت الرسائل، وطار الرسل إلى كل مكان، يدعون السادة الكبار والنبلاء إلى اجتماع فى قصر الملك، وجرى ذلك الأمر بسرعة فائقة، فاجتمع السادة فى لمح البصر، وحكى لهم الملك عما يؤرقه، وطلب منهم المساعدة فى القتال، كما وعد بأن بناته سوف يكُنَّ مكافأة لمن يستحق مثل هذه المكافأة، انصرف الجميع بعد أن عاهدوه بالحضور إلى ساحة المعركة مع جنودهم، وفى اليوم المحدد أخذ الجميع استعداداتهم للحرب، وأعلن الملك أنه سوف يقود الجيش بنفسه فى المعركة، وقبل الموعد المحدد بيومين، تجمع السادة والنبلاء فى القصر حيث أقيمت لهم وليمة كبيرة، وقامت الأميرات بوداع الملك وهن باكيات، وأمر الملك باباى أن يولى اهتمامه بكل شىء فى أثناء غيابه، ثم تحرك الجميع إلى ساحة المعركة تصاحبهم دقات الطبول ونفير الأبواق.

كان باباى وفيًا لأوامر الملك، فأخذ يتابع كل شيء فى القصر، لكنه لم يكن ينوى تضييع وقته فى التخفيف والترويح عن الأميرات، فادعى المرض، ولم يوافق أن يفحصه الطبيب الذى أراد مساعدته، وقال له بالإشارات: "سوف أذهب بنفسى لإحضار بعض الأعشاب التى هى أفضل كثيرًا من أى دواء".

واعتقدت الأميرات أن مسًا أصاب عقله، فتركوه يخرج لحاله، لكنه لم يذهب لإحضار الأعشاب التى لا تنمو إلا فى عيون سلافينا، فقد كانت هى الوحيدة القادرة على أن تشفى آلامه الحقيقية، بل ذهب إلى فرسه يسأله إن كان عليه الذهاب لمساعدة الملك فى الحرب، فأجابه الفرس بالإيجاب، وطلب منه أن يرتدى الملابس البيضاء، وأن يحمل سيفه ويمتطى صهوته كى يذهبا إلى ساحة الحرب، فأخذ باباى يقبله بسعادة.

كانت الحرب تدور رحاها منذ بضعة أيام، وكان الوهن قد أصاب جيش الملك، فلم يعد بوسعه الاستمرار فى مواجهة تفوق العدو، وكان اليوم التالى قد تحدد موعدًا للمعركة الرئيسية الحاسمة بين الجيشين المتصارعين، فظل الملك طوال الليل يعطى تعليماته، وأرسل إلى بناته رسولا يعلمهم ما عليهم فعله فى حال خسارته للحرب.

فى الصباح الباكر احتشدت الصفوف معتمدين على حماية الرب لهم، ثم دوى نفير القتال، وعلا صليل السيوف، وانطلقت السهام تخترق الهواء، وترددت الصيحات الحماسية فى أرجاء الوادى العريض، وفجأة، ظهر بين صفوف الأعداء فارس بملابس بيضاء، ودرع ذهبى، وخوذة بيضاء، وكان يمتطى فرسًا صغيرًا، ويحمل فى يده سيفًا رهيبًا، وصار يمزق بسيفه أجساد الأعداء، حتى اعتقدوا أنها روح شريرة قد سلطت عليهم، وهنا انتبه جيش الملك لما يجرى فى الساحة، فهجمت قواته بجانب الفارس يساندونه، وسرعان ما بدأ الأعداء يتقهقرون

مدحورين، حتى قتل الفارس الأبيض قائدهم، فتفرقوا فارين كالأغنام الهاربة بلا راع.

وأصيب الفارس الأبيض فى قدمه بجرح طفيف، ولون الدم ملابسه باللون الأحمر، وما إن رأى الملك جرحه، حتى قفز من على حصانه ومزق عباءته، ثم ربط له بنفسه مكان الجرح، ورجاه أن يدخل خيمته، لكن الفارس شكره وانطلق مبتعدًا.

كاد الملك أن يبكى أسفًا لرحيل الفارس للمرة الرابعة دون أن يستطيع تقديم الشكر الكافى له، فقد صار الملك يعتبر نفسه مدينًا لهذا الفارس بالكثير والكثير، بعد ذلك عاد المنتصر إلى دياره، ومعه العديد من الغنائم، فاستقبله الناس فى المدينة بالصيحات والهتافات، كما أقيمت فى القصر الاحتفالات والأفراح.

قال الملك لباباى:

ـ هه يا وزيرى، كيف أدرت شئون القصر فى أثناء غيابى؟

أشار باباى بأن كل شيء على ما يرام، لكن الأميرات انفجرن من الضحك، وقالت سلافينا:

ـ يجب أن أشكو لك يا أبى من وزيرك، فهو لم يكن مطيعًا، لقد مرض ورفض أن يأخذ من طبيبنا أى دواء، وقال إنه سوف يذهب لإحضار بعض الأعشاب بنفسه، ثم رحل ولم يعد إلا بعد مرور يومين.

نظر الملك إلى باباى الذى ابتسم وقام بأداء التحية العسكرية، كأنما أراد أن يوضح للملك أنه لا تنقصه الصحة أو الطاعة، وعندما علمت الأميرات أن مخلصهن قد ساعد أبيهن فى الحرب، أبدوا رفضهن الزواج من النبلاء، فقد اعتقدن أن الفارس قد يأتى للزواج من إحداهن، هذا على الرغم من أنهم لم يروا وجهه

مرة واحدة، ولم يعرفوا إن كان وسيمًا أم قبيحًا، فإن كلاً منهن قد تخيلته في صورة الملاك الحارس.

احتار الملك فيما يفعل بشأن المكافأة التي أعلن عنها سابقًا، فقد ساعده النبلاء في الحرب بما سمحت لهم إمكانياتهم، كما شاركوا جميعًا في القتال بشجاعة، فلمن منهم يعطي بناته؟ ثم اهتدى فكره إلى طريقة وجدها مناسبة للجميع، فخرج للنبلاء وقال لهم:

ـ أصدقائي الأعزاء، لقد وعدت أن أزوج بناتي لمن يساعدني في الحرب أكثر من الآخرين، لكنكم جميعًا ساعدتموني بإخلاص، لذلك وحتى لا أظلم أحدًا، فقد فكرت في الطريقة الآتية: سوف تقفون جميعًا في صفوف متراصة، وتقوم كل واحدة من بناتي بإلقاء تفاحة ذهبية من الشرفة، عندئذ سوف تتدحرج التفاحة حتى تقف أمام أحدكم، فيكون هو زوج الأميرة صاحبة التفاحة، فهل أنتم راضون بهذه الوسيلة؟

وافق الجميع على اقتراح الملك، وصدرت الأوامر إلى الأميرات اللاتي وجدن أنفسهن مضطرات لقبول الأمر، حتى لا يلحق العار بأبيهن، فارتدت الأميرات أفخر الثياب، وأمسكت كل منهن بتفاحة ذهبية، ثم خرجن إلى الشرفة التي اصطف أسفلها السادة النبلاء، وقف باباي بين المتفرجين، لكنه كان قريبًا جدًّا من النبلاء المتقدمين للزواج، كانت زدوبينا هي أول من ألقت تفاحتها، فأخذت التفاحة تتدحرج وتتدحرج، ثم اتجهت مباشرة نحو قدمي باباي الذي تجنبها، فتدحرجت لتصل عند أحد النبلاء الذي رفعها سعيدًا، وخرج من الصف، ثم قذفت بودينكا بتفاحتها، وكما حدث في السابق، اتجهت التفاحة نحو أقدام باباي الذي رفسها بسرعة، فأكملت التفاحة طريقها، حتى وصلت إلى أحد السادة الذي رفعها، ونظر بشوق إلى الشرفة يتفحص عروسه الجميلة، وأخيرًا أتى الدور على سلافينا،

ولكن باباى فى هذه المرة لم يتجنب التفاحة، بل رفعها فرحًا، ثم ركض بين الصفوف، وركع أمام الأميرة مقبلاً يدها، فسحبت الأميرة يدها من أمامه بعنف، وركضت إلى غرفتها، وأخذت فى البكاء على حظها العاثر الذى أوقعها للزواج من الأخرس، غضب الملك وتذمر النبلاء، لكن أحدًا منهم لم يستطع أن يغير شيئًا مما حدث.

بعد ذلك أقيمت فى القصر مأدبة فاخرة، على أن يقام بعد تناول الطعام نزال بين الفرسان، ليحصل الفائز على جائزة تقدمها إحدى العرائس، جلست سلافينا فى أثناء المأدبة مذهولة من الصدمة، ولم تتفوه بكلمة واحدة، ولم ير أحد من المدعوين العريس باباى، فاعتقد الملك بأنه فر خائفًا، وأشفق الجميع على الأميرة المسكينة وحظها العاثر، وأرادوا الترويح عنها من الصدمة، وطلبوا منها أن تقوم بتسليم الجائزة بنفسها، فوافقت سلافينا بعد إلحاح منهم، وبعد أن بدأ النزال، دخل أحد الحراس وأخبر الملك أن هناك فارسًا على فرس صغير يقف بالخارج، ويطلب السماح له بالمشاركة فى المسابقة، فأومأ الملك برأسه علامة الموافقة.

دخل إلى الساحة فارس يرتدى ملابس زرقاء فضية، ويضع خوذة باللونين الأبيض والأزرق، فكتمت الأميرات صرخاتهن التى كادت أن تخرج فرحًا بحضور مخلصهن الشجاع، وانحنى الفارس أمام السادة، ثم بدأ النزال مع النبلاء، واستطاع الفارس التغلب عليهم جميعًا، وأصبح هو الفائز، واقتربت منه سلافينا وهى تحمل سوارًا ذهبيًا، فنزل الفارس على ركبتيه منحنيًا أمامها، وقامت هى بتعليق السوار حول رقبته، وارتعشت يدا الأميرة واشتعلت وجنتاها من السخونة، ولم تدر إن كانت حرارة الشمس هى التى تحرقها، أم أنها نظرات الفارس الجميل النارية، فخفضت بصرها وسمعت هذه الكلمات المعسولة: "أيتها العروس الجميلة، سوف ألقاك مرة أخرى اليوم".

اقترب الملك والأميرتان حتى يشكروا الفارس ويكافئوه على كل ما فعل من أجلهم، لكنه لثم يد سلافينا بسرعة ثم اختفى كما ظهر، واستكملت المسابقات والألعاب والمرح، لكن سلافينا جلست شاردة فى غرفتها بمفردها، فلم تكن لديها رغبة فى البقاء مع الضيوف.

تحت ضوء القمر خرج الفرس الصغير من الصخرة حاملاً سيده للمرة الأخيرة، وبعد أن وصلا إلى القصر، قفز باباى من على ظهره وقبل رقبته، ثم اختفى الفرس من أمام ناظريه، كان فارسنا حزينًا لفراق صديقه الوفى، لكن فى انتظاره كان هناك البديل الرائع الذى يعوضه عنه.

جلست سلافينا تفكر فى فارس أحلامها، وفجأة انفتح الباب ودخلت إحدى الوصيفات تخبرها أن باباى يريد التحدث مع الأميرة، لم تجب سلافينا بل دفنت رأسها فى الوسادة، وهنا أمسك شخص بيدها فى رفق، فرفعت رأسها تنظر إليه، ورأت أمامها البطل الجميل مخلصها، وسألها باباى:

ـ هل أنت غاضبة من عريسك فتختبئين منه على هذا النحو؟

همست سلافينا:

ـ لماذا تقول لى هذا السؤال؟ فأنت لست عريسى.

ـ بل أنا بعينه يا فتاتى، فأمامك يقف باباى الأخرس الذى طالما أعد لك باقات الورد، والذى أنقذك وشقيقاتك من الموت، والذى ساعد أباك فى الحرب، أنا عريسك بشحمه ولحمه.

ويمكن التأكيد بأن الأميرة لم تغضب من باباى، وبعد لحظات دخلت سلافينا إلى القاعة حيث كان الجميع، وكان بصحبتها فارس بملابس بيضاء وخوذة ذهبية، فقدمته لأبيها على أنه عريسها باباى الأخرس، فرح الأب، وتعجب الضيوف،

وتطلعت الأختان بحسد من طرف خفى، وبدأ الفرح الحقيقى، واستمر الاحتفال بالعرسان حتى الصباح.

وبعد الزفاف ذهب باباى ومعه سلافينا لرؤية والديه، وأصابه الفزع لما شاهد الرايات السوداء ترفرف على مدينته، فسأل فى الحال عن الأمر، وعرف أن الملك الشاب قد مات، فأسرع إلى القصر يواسى والديه، ويخفف عنهما الألم والحزن، وبالفعل كان هو الوحيد الذى استطاع أن يسعدهما ويخفف من أحزانهما، فقد كانا يعدانه مفقودا لانقطاع أخباره فترة طويلة، وعادت السعادة من جديد ترفرف على القصر، وحلت الرايات الحمراء مكان الرايات السوداء، وأصبح باباى ملكًا على البلاد، وعاش مع زوجته حياة تغمرها السعادة حتى الموت.

الأميرة الذكية



كان اثنان من العمال يسيران فى بلاد الله خلق الله، وفى إحدى المرات وصلا إلى قصر بديع، وأخذا يتلصصان بأبصارهما عبر السور إلى حديقة القصر، وهناك كانت تتجول أميرة جميلة، فقال أحدهما وكان شابًّا وسيمًا:

ــ هل يمكنك أن تحزر يا بورجيك، ماذا أتمنى الآن؟

رد بورجيك: أن تكون صاحب هذا القصر وسيده، أليس كذلك؟

ـ لقد أخطأت فى تخمينك، فأنا أريد هذه الأميرة.

ـ آه، أنت لست غبيًا يا يرجى، إنك تفكر فى الأميرة والقصر معًا، وقد أخطأت عندما اعتقدت أنك تفكر فى أحدهما فقط، دعك من هذا الأمر أيها الرجل، ولا تفكر فى أمور عبثية لا طائل منها، ومعى فما زال أمامنا طريق طويل.

ـ أنا مستعد أن أهب روحى للشيطان لو استطعت الحصول على هذه الأميرة.

ـ وأنا ما كنت أفعل.

أجاب بورجيك، ثم جذب يرجى بعيدًا عن السور، وسارا حتى وصلا إلى مكان ظليل بالقرب من المدينة، فاستلقوا هناك كى ينالا قسطًا من الراحة، بعد أن أرهقتهم الرحلة الطويلة، غلب بورجيك النعاس بمجرد أن رقد على العشب، ولكن يرجى لم يستطع النوم، فقد ظل يفكر فى الأميرة الجميلة، وفجأة مر بالقرب منهما شاب فى ملابس خضراء، وعندما رأى يرجى مستيقظًا وقف عنده وقال متسائلاً:

ـ تحية طيبة أيها الشاب، إلى أين أنت ذاهب؟

ـ نحن نسير فى العالم بحثًا عن الرزق، ولكننى سئمت هذا التجوال، وأشعر أننى أهيم على وجهى مثل الكلب الضال.

ـ أنا أصدقك، فالأفضل أن يكون المرء سيد نفسه.

ـ لو أن كل إنسان استطاع أن يكون سعيدًا، فبالطبع هذا أفضل.

ـ إن هذا يتوقف أحيانًا على الإرادة فقط.

ـ لو أن الأحلام تتحقق بالإرادة، لتمنى الناس أشياء كثيرة، فأنا مثلاً أحلم بالحصول على الأميرة فى ذلك القصر القريب، وقد قلت لصديقى منذ قليل إننى مستعد أن أهب روحى للشيطان لو حصلت عليها.

ـ وهل تعنى حقًا ما تقوله؟

ـ حقًا، حقًا أعنى.

ـ إن أمنيتك سوف تتحقق، فأنا الشيطان، وإن وقعت لى عقدًا ينص على أنك تهبنى روحك، فسوف تصبح أميرًا غنيًا فى خلال ربع ساعة، ويمكنك بعد ذلك أن تذهب إلى الأميرة التى سوف تعجب بك، وتأخذك زوجًا لها، وها هى الورقة والريشة أمامك، فاجرح خنصرك ووقع عليها بالدم.

بلا تردد أو تفكير، أخرج يرجى يديه، وجرح خنصره، ثم وقع للشيطان على العقد بدمه، فقال له الشيطان:

ـ حسنًا، لقد صرت الآن ملكًا لى، فمتى تريد أن أعود لآخذك؟

ـ بعد عشرين عامًا، فأنا لو عشت هذه المدة الطويلة مستمتعًا بحب الأميرة الجميلة، وغارقًا فى ملذات الدنيا، فسوف أذهب معك راضيًا.

ـ اتفقنا إذن، إليك هذا الكيس المليء بالنقود، ومهما أخذت منه لن ينفد أبدًا، وعندما تفتح صندوقك سوف تجد أن ملابسك قد تحولت إلى ثياب النبلاء فارتدها، واذهب وراء الغابة لتجد فى انتظارك بعض الخدم وفرسًا أعد خصيصًا لك، فامتط صهوته واذهب إلى القصر، واختر لنفسك اسم أمير أو نبيل.

ـ ولكنى لا أستطيع التحدث بلغة النبلاء، وأخشى أن يفتضح أمرى من الوهلة الأولى.

ـ لا تحمل همًّا، فسوف تتقن كل ما تفكر فيه، وسوف يصدقك الجميع، والآن عليك الرحيل قبل أن يفيق صديقك من نومه.

ثم اختفى الشيطان، وفتح يرجي الصندوق فوجد به بالفعل ثيابًا فاخرة، وأخذ يرتديها بدلاً من ثيابه، وبعد ذلك ذهب خلف الغابة، حيث وجد في استقباله مجموعة من الخدم المهندمين ومعهم فرس شديد السرعة، فقفز يرجي على ظهره ببراعة متناهية كما لو أنه قد تدرب عند أمهر مدربي الخيول، ثم توجه إلى قصر الأميرة مسرعًا.

في هذه الأثناء استيقظ بورجيك، وعندما لم ير يرجي بالقرب منه ظن أنه قد سبقه على الطريق، فجمع أشياءه وأسرع ليلحق به، فلنتركه يسير أينما يريد ولنلقي نظرة على القصر حتى نرى ماذا يجري هناك.

كانت الأميرة الشابة مازالت في الحديقة عندما وصل يرجي إلى القصر، وهناك طلب يرجي إبلاغ الملك أن الأمير فلانًا قد وصل من البلد الفلاني، ويرجو أن يوافق الملك على استضافته لفترة قصيرة في قصره.

استقبله الملك باحترام كبير، وفي الحال أعدت الغرف وحمل الخدم إليها صناديق وأغراض الأمير التي أعدها له الشيطان، وفردت مائدة زاخرة بأطايب الطعام، وارتدى يرجي ثيابًا مطعمة بالذهب كي يحوز إعجاب الأميرة، وهو الأمر الذي تحقق له، فما أن رأته الأميرة حتى أعجبت به، وأصبحت أمنيتها الوحيدة أن يبقى الأمير الوسيم لديهم إلى الأبد، وكذلك ظل يرجي يحوم حولها، ولم يخرج من فمه إلا الكلام المنمق المعسول، وكان سعيدًا بنفسه غير مصدق أن الحديث ينساب منه بسلاسة كالماء، وبعد أن أمضى بضعة أيام في القصر، تظاهر برغبته في الرحيل، وهو في الوقت نفسه يخشى أن يوافقوه على طلبه، لكن الأميرة صارحت

أباها بما يختلج فى نفسها، ورجته أن يبقى الأمير لديهم لمدة أطول، وكان هذا ما فعله الأب، فصار يرجى سعيدًا لبقائه، بعد أن لاحظ أن هناك من يرغب فى رؤيته.

وفى أحد الأيام كان يرجى يتجول مع الأميرة بمفردهما، فاستغل هذه اللحظة واعترف لها بحبه، وبعد أن عرف منها أنها تبادله المشاعر نفسها أيضًا، ذهب على التو إلى والدها طالبًا يدها.

قال يرجى للملك إنه لا يملك أية ممتلكات لأنه أصغر أبناء أبيه، ولكنه قادر فى هذه اللحظة على شراء أفخر وأثمن الأشياء بلا أية عوائق، فبارك الملك هذا الزواج، وعين يرجى شريكًا له فى الحكم، وسرعان ما تم الاحتفال بالزفاف وشعر يرجى أنه يحلق فى أعالى السماء من السعادة، أحب الناس يرجى لأنه كان رجلاً طيب الخلق، ولم يؤذ مخلوقًا دون سبب.

بعد مرور بضعة سنوات مات الملك، وأصبح يرجى وحده الحاكم على البلاد، وصار لديه من الأبناء ولدان وبنت، وعاش مع زوجته فى غاية السعادة، وبالطبع كان أحيانًا يتذكر الشيطان، لكنه كان دائما يقول لنفسه: "مازال هناك متسع من الوقت حتى يحين ميعاده، ومن يدرى كيف تسير الأمور بعد ذلك".

لكن الوقت مضى سريعًا، ولم يعد باقيًا فى المهلة المحددة إلا عام واحد حتى تكتمل العشرون عامًا، وانتبه يرجى إلى المهلة القصيرة المتبقية، فتملك الخوف منه، ولم يعد قادرًا على النوم فى الليل أو فى النهار، فكان يتجول فى القصر شاحب اللون كالظل، وهو ينظر إلى أطفاله وزوجته الغالية بكل أسى، ولم يكن لكل هذا أن يمر دون أن تلحظه الزوجة المحبة، فكانت كثيرًا ما تسأله عما يؤرقه، لكنه كان دائمًا يتهرب من الإجابة بطرق مختلفة، ولم يرغب أن تعرف زوجته السبب

الحقيقى فى حزنه وشروده، واستمر على هذا الحال لمدة عام كامل، ولم يعد متبقيًا من المهلة إلا يوم واحد.

لم يأكل يرجى شيئًا طوال اليوم، وأغلق باب غرفته على نفسه، حتى لا يرى دموع زوجته، وحتى يتجنب أسئلتها، وعندما حل المساء، انفتح الباب من تلقاء نفسه، ودخل إلى الغرفة شاب يرتدى الملابس الخضراء، وقال محدثًا الملك الشاحب:

ــ هاه يا يرجى، هل تتذكر أن اليوم هو الأخير فى العشرين عامًا؟ وأن عليك أن تذهب معى؟

ــ وكيف لى أن أنسى؟ ولكن مازال على القيام بأمور عديدة كما ترى، فأنا حتى الآن لم أودع زوجتى، فهلا تركتنى لثلاثة أيام أخرى؟

ــ سوف ألبى لك طلبك هذا، بل وسوف أفعل ما هو أكثر بكثير مما ترجوه، فاطلب منى ثلاثة أشياء على مدار الأيام الثلاثة، وأنا ألبيهم لك مهما كانت طلباتك، وإن فشلت فى تحقيق أى مطلب منهم، فسوف أعيد لك العقد الذى وقعته، ولن تصبح مدينًا لى بأية حقوق.

شكر يرجى الشيطان، وكان فى غاية الامتنان لهذا العرض؛ فقد كان يعتقد أنه سوف يجد طريقة ما ليخدع بها الشيطان، فخرج من حجرته وهو أكثر مرحًا، وذهب إلى الملكة يتبادل معها الحديث، وعندما رأت الملكة الابتسامة على وجه محبوبها، أصبحت هى الأخرى أكثر مرحًا، وخرجا معا يتنزهان.

قال لها: أخبرينى يا عزيزتى، ما هو الشىء الذى يسعدك أن تحصلى عليه؟

ألقى يرجى بهذا السؤال وهو يأمل أن يصل لشيء يعينه من إجابة زوجته، بعد أن وجد نفسه عاجزًا عن إيجاد عمل صعب للشيطان، وقالت له الزوجة:

ـ لدى كل شيء، وكل ما أتمناه أن تكون أنت أكثر مرحًا وسعادة.

ـ ولكنى مرح وسعيد بالقدر الكافى، فأجيبينى على أى حال، إن الأمر مجرد كلام، كيف تحبين مثلاً أن تجملى القصر؟

ـ إن قصرنا من الأمام جميل بدرجة كبيرة، لكن خلفيته لا تطل على منظر حسن، فلو لم تكن هناك هذه الصخرة الضخمة كالجبل لكان الأمر أفضل.

ـ إنك محقة يا عزيزتى.

هكذا، أجاب يرجى، وقد عقد العزم أن يوكل هذه المهمة إلى الشيطان، وفى المساء وقف الشيطان أمام الملك يسأله عن طلبه لينفذه، فقال له يرجى:

ـ أريد منك أن تزيل تلك الصخرة التى تسد منافذ القصر من الخلف، على أن يتم ذلك قبل حلول الصباح.

ـ أمرك مطاع،

أجاب الشيطان وانصرف.

وظن الملك أن الشيطان لن ينجح فى القيام بما طلبه، وأنه سوف يحتاج لمزيد من الوقت، ولكن أمله خاب عندما استيقظ فى الصباح، واقترب من الشباك فرأى الأفق العريض أمامه، ولم يعد هناك أثر للصخرة، فذهب إلى زوجته وهو يشير إلى ما تحقق، وهتفت الزوجة وهى تنظر إلى الخارج فى ذهول:

ـ يا إلهى، هل أنت شريك الشيطان أم أنك ساحر؟

ـــ لو أن الأمر كذلك لحققت لك هذه الأمنية منذ زمن بعيد، فأنا نفسى لا أعرف كيف جرى هذا الأمر، فربما هناك جنى قد سمع حوارنا بالأمس، والآن تمنَّ شيئًا آخر، ولنرَ إن كان سيتحقق.

لكن الملكة كانت امرأة فطنة ذكية، فقد توجست شرًّا فى هذا الأمر، وأدركت أن هناك شيئًا مخيف يخفيه عنها زوجها، لكنها أخفت عنه ما يدور فى ذهنها، وقالت له:

ـــ أتمنى أن أرى فى بستانى الآلاف من الأزهار والورود والأشجار من مختلف بقاع العالم، وأن تكون كلها مورقة يانعة.

ثم قالت الزوجة فى نفسها: "لننتظر، فإن تحقق هذا غدًا فلن أترك يرجى قبل أن يعترف بالسر الذى يخفيه".

وفى المساء تسلم الشيطان المهمة الموكلة إليه، فوعد بالتنفيذ وانصرف.

وفى الصباح استيقظ الملك من نومه، وفوجئ بالرائحة الذكية المنبعثة من آلاف الأزهار، وكانت جميعها فى أوج تفتحها، واكتسى الأفق العريض بأحواضها النامية بين مئات الأشجار، فبدا كالجنة الجميلة الواسعة، ثم حضرت الملكة التى لم يرُق لها ما رأته، وأخذت تنظر إلى تلك الحديقة الغناء نظرة مليئة بالانبهار والذعر فى الوقت نفسه، ثم التفتت فجأة نحو يرجى وأمسكت بيديه، وقالت له:

ـــ الآن يا زوجى العزيز لا يمكنك الاستمرار فى الإنكار، ولا بد أن هناك اتفاقًا بينك وبين الشيطان، أليس كذلك؟

أطرق يرجى برأسه فى صمت، فأردفت الأميرة تقول:

ـ إننى متأكدة من ذلك، فمن الأفضل أن تخبرنى عن المدة التى ارتبطت بها معه، حتى أستطيع أن أخفف عنك، أو أعطيك نصيحة تفيدك فى محنتك.

ـ لقد فات الأوان يا عزيزتى، فاليوم هو آخر يوم فى المهلة الممنوحة لى، وسوف يأتى الشيطان فى المساء كى أخبره بطلبى الأخير، وبعد ذلك سوف أصبح ملكًا له.

ثم قص عليها يرجى كل ما جرى معه من البداية إلى النهاية.

غفرت له الملكة كل شىء، لأنها كانت تحبه كثيرًا، وكانت تعرف أنه لم يخطئ إلا بدافع الحب فقط، ثم قالت له:

ـ لا تحزن ولا تتجهم حتى لا يلحظ مخلوق شيئًا، وعندما يأتيك الشيطان فى المساء أرسله إلى، وحتى هذا الوقت سوف أصل إلى شىء يعجز عن القيام به،

أصبح يرجى وكأنه ولد من جديد، وزالت عنه كل الهموم، فذهب مع زوجته، وقضى اليوم مع أطفاله في لهو ومرح كما لو أن شيئًا لم يكن، وفى المساء حضر الشيطان فى الوقت المحدد وسأل الملك:

ـ ما الذى فكرت فيه اليوم؟

ـ أريد منك الذهاب إلى زوجتى، وسوف تخبرك بما تريد، فأنا لا أعرف شيئًا.

دخل الشيطان إلى غرفة الملكة التى كانت فى انتظاره.

ـ أنت إذن الشيطان الذى يريد أن يأخذ زوجى؟

ـ نعم.

ــ وهل أستطيع أن أطلب طلبًا بدلاً منه مهما كان هذا الطلب؟

ــ نعم.

ــ وإن لم تستطع أن تنفذ طلبى فلن يكون لك سلطان عليه بعد ذلك؟

ــ نعم.

ــ حسنًا، تعال إلى هنا وانزع من رأسى ثلاث شعرات لا أكثر ولا أقل، دون أن تسبب لى أدنى ألم، تجهم الشيطان واقترب أكثر من السيدة، ثم أمسك بثلاث شعرات ونزعها من رأسها، لكن السيدة صرخت قائلة له:

ــ أرأيت؟ لقد طلبت منك ألا تؤلمنى، وقد ارتكبت خطأ وآلمتنى، لكننى سوف أغفره لك، والآن عليك قياس أطوال الشعرات الثلاث.

وبعد أن قاسهم الشيطان قالت له:

ــ والآن أريدك أن تجعلها أطول بمقدار عقلتى أصبع، ولكن لا تفكر أن تلصق بهم هذا القدر من شعر آخر، فأنا أريدك أن تفرد هذه الشعرات الثلاث حتى تصبح كل واحدة أطول من ذى قبل بمقدار عقلتى أصبع.

نظر إليها الشيطان للحظات، ولكنه لم يعرف ماذا يفعل، فطلب من الملكة أن تسمح له بالذهاب إلى الجحيم، ومعه الشعرات الثلاث كى يتشاور مع زملاءه، وسمحت له الملكة بالذهاب، فاختفى الشيطان على الفور ومعه الشعرات، وعندما ذهب إلى الجحيم، جمع كل زملائه ووضع الشعرات على طاولة أمام سيدهم "لوتسيفير"، وسأله عما عليه أن يفعل بهم لينفذ مطلب الأميرة، فقال سيدهم:

ـ لقد خسرت فى هذه المرة أيها الذكي، ماذا يمكن أن تفعل بها؟ إن جذبناها كى نطيلها فسوف تتقطع، وإن طرقناها فلن نجنى شيئًا، وإن وضعناها فى النار فسوف تحترق؛ لذلك لم يعد أمامك سوى أن تعود أدراجك وتعيد العقد إلى صاحبه.

ـ لا، لن أذهب إليه، لأننى لو فعلت ذلك فسوف أصاب بالغثيان من شدة الغيظ.

ـ لماذا لم تأخذ حيطتك؟ والآن عليك الذهاب وتسليم ما لم يعد يخصك.

اضطر الشيطان أن يحمل العقد ويذهب به إلى صاحبه؛ فطار محلقًا نحو القصر، لكنه خاف أن يدخل إليه؛ فظل يراقب النافذة عن بعد منتظرًا أن يفتحها الملك، وعندما فتحت النافذة ألقى عبرها بالعقد إلى الغرفة واختفى.

كانت سعادة يرجى لا توصف عندما حمل العقد المشئوم وركض به مسرعًا إلى زوجته، وكانت الأميرة تعرف مسبقًا بحدوث هذا الأمر، وشكر يرجى الرب أنه أخرجهم من هذا الخطر واستغفره، وعاش مع زوجته الأميرة الذكية فى سعادة حتى الموت.

الغربان السبعة



كانت الأم تخبز العجين لإعداد الفطائر، ووعدت أولادها السبعة أن تخبز لكل منهم فطيرة إذا بقوا هادئين، فجلس الأولاد صامتين لبعض الوقت، ومر زمن وجيز على صمتهم ولم تخبز الفطائر بعد، فنفد صبرهم وبدءوا فى إغضاب الأم،

وأخذوا يجذبونها من ملابسها وهم يصرخون: "متى ستكون الفطائر جاهزة؟"، تحملت الأم مضايقة الأبناء لها طويلاً، ولكن صبرها نفد أخيرًا، فصرخت فيهم قائلة:

ـ ليتكم تصبحون غربانًا جميعًا حتى أرتاح منكم.

ولم تكد الأم تنهى عبارتها، حتى تحول الأبناء إلى سبعة غربان، ثم نظروا إلى الأم في حزن، ونفضوا أجنحتهم وارتفعوا محلقين إلى السماء، وقبل أن تفيق الأم المذعورة من صدمتها كانوا قد اختفوا عن نظرها، وظلت الأم المسكينة تنزع الشعر من على رأسها وهى تبكى وتنتحب، لكن صراخها ذهب أدراج الريح؛ فقد كان الأولاد قد اختفوا وصاروا أبعد مما تتصور، وسرعان ما عاد الأب ليتلقى هو الآخر الصدمة الكبيرة، عندما لم يجد ابنه الأشعث "ياروسلافيك" فى استقباله، كما لم يجد أحدًا من أبنائه السبعة يرحب بعودته، وبعدما علم بمصيرهم، أخذ هو الآخر يلعن ويندب حظه، لكنه لم يؤنب زوجته بعد أن رأى حالها، ولأنه كان يحبها كثيرًا، فكتم آلامه فى قلبه.

هدأت لوعة الأم بعد مرور بعض الوقت، وذلك عندما أشفق عليها الرب برحمته، وأسعدها بأن حباها ابنة طالما كانت تتمناها بدلاً من أحد الأبناء، وكانت "بوهدانكا" منة الله طفلة لطيفة محبوبة، وكانت كلما كبرت تزداد ذكاء وطيبة، فتضفى سعادة وبهجة على والديها، كما لو أنها تتعمد تعويضهما عما فقداه، وأصبحت الابنة صبية مليحة الشكل، وفى إحدى المرات وقفت أمام صندوق كانت الأم تبحث فيه عن أحد الأغراض، فلمحت بنظرها حذاءً وقميصًا، فسألت فى فضول:

ـ لمن هذا الحذاء والقميص يا أمى؟

أجابت الأم: لا تسأليني يا ابنتي الحبيبة.

وفي الحال انهمرت على وجنتي الأم دموع حارة، وعندما رأت بوهدانكا دموع أمها، لم ترغب في مواصلة السؤال، لكن الفضول ظل يؤرق ذهنها، لمن هذا الحذاء؟ ولماذا بكت الأم عندما رأته؟ فذهبت تسأل الأب الذي بدأ يبكي هو الآخر، ولم تعرف جوابًا على سؤالها، بدأت بوهدانكا تفكر في الأمر، هل كان لها أشقاء في الماضي؟ ولكنها تعجبت لإنكار والديها ذلك الأمر، وإن كانوا قد ماتوا أو سافروا، فلماذا لا يتحدث عنهم أحد؟

كانت هناك خادمة عجوز تتردد على المنزل تدعى دوروتا، وكانت تعمل عندهم منذ زمن بعيد، حتى أصبحت ـ كما يقال ـ فردًا من أفراد الأسرة، فسألتها بوهدانكا:

ـ لمن هذا الحذاء والقميص اللذان في الصندوق؟ ولماذا يجعلان أمي تبكي؟

ظلت دوروتا تتملص من الإجابة طويلا، لكنها في النهاية وتحت تأثير الرجاء والإلحاح، قصت على الفتاة كيفية ضياع أشقائها السبعة، وكم تألمت بوهدانكا لمصير أشقائها البائس، ثم سألت قائلة:

ـ أخبريني يا دوروتا، كيف كان شكل أشقائي؟

بدأت دوروتا تصف الأبناء من الرأس إلى أخمص القدم، ثم صارت تصف كلاً منهم على حدة، ماذا يحب أن يفعل كل منهم، ونوعية طعامهم المفضل، وأي منهم كان طيبًا، وأيهم أكثر طيبة من الآخرين، وبعد أن انتهت دوروتا من مدح الإخوة والثناء على أخلاقهم، تنهدت بوهدانكا سارحة وهي تقول لنفسها: "آه، كم كنت أحب أن أكون معهم الآن".

ثم أفاقت من شرودها، ورفعت رأسها مرة واحدة وهى تتساءل:

ـ لكن إلى أين طاروا يا دوروتا؟ وهل ضاعوا إلى الأبد؟

ـ لا أظن أنهم ضاعوا، لكن لا أحد يعلم فى أى مكان حطت عليهم اللعنة، ولا أعتقد أن هناك من يجرؤ على البحث عنهم فى العالم.

ـ لو أننى كنت كبيرة وقوية مثلك، لما توقفت عن البحث عنهم حتى أجدهم.

ـ فتاتى العزيزة، إن العالم كبير للغاية، ومثلك يضيع فيه كحبة السمسم فى الحقل الواسع؛ لذلك دعك من الأفكار الخيالية.

بهذه الكلمات أرادت العجوز أن تثنى بوهدانكا عما يدور فى رأسها، لكن الفكرة كانت قد تملكت من الفتاة العنيدة، وكانت أينما ذهبت تفكر فى مصير الأشقاء المساكين، وفى عذاب والديها اللذين لا تفارق الدموع أعينهما، ويومًا بعد يوم كانت تعترم بداخلها النية والعزم للبحث عن أشقائها، لكنها انتظرت قدوم اليوم الذى تصبح فيه قوية بما يكفى.

مضت الأعوام عامًا بعد الآخر، وكبرت بوهدانا حتى صارت مثل الشجرة القوية، وكان قوامها مصبوبًا ووجهها جميلاً، لكن أجمل ما فيها كانت روحها النقية الطاهرة، وخلال كل هذا الزمن لم تنس للحظة قرارها السابق، وعندما بلغت الثامنة عشرة قررت أن تبدأ رحلة البحث، وكان ما يشغل بالها هو رد فعل والديها، وكيف سيتقبلون ذهاب محبوبتهما إلى مثل هذه الرحلة، لكن بوهدانكا كانت مصممة على انتزاع الموافقة من والديها.

وفى إحدى المرات جلس الأب بجوار الأم ، وقد انهمرت دموعهما وهما يتذكران أبناءهم، وفى هذه اللحظة اقتربت منهما بوهدانكا وأمسكت بأيديهما قائلة:

ـ أبى، أمى، لا تخفيا دموعكما عنى، فقد عرفت سبب معاناتكما، وأريد أن أساعدكما.

هتفا معًا فى صوت واحد:

ـ أنت، أنت تعرفين سبب معاناتنا وتريدين أن تساعدينا! هذا ليس معقولاً.

ـ بل إنه عين العقل، وسوف أساعدكما إن وافقتما على طلبى.

قالا وقد اعترتهما الدهشة:

ـ من أخبرك بهذا الأمر؟ وكيف تريدين أن تساعدينا؟ وما هو طلبك؟

ردت الفتاة:

ـ إنى أرى فى منامى لثلاث ليال متصلة غرابًا صغيرًا يحط على فراشى، ويقول لى: "اذهبى يا بوهدانكا ولا تتأخرى، فأنا واحد من أشقائك السبعة الذين تحولوا إلى غربان بفعل لعنة مشئومة، نحن فى انتظارك كى تخلصينا، فأخبرى والدينا بهذا الأمر، وامضِ فى رحلتك، وسوف ندلك على الطريق ونقوم بحمايتك أينما تذهبين"، هذا ما قاله لى الغراب ثلاث مرات، وأنا أعلم الآن أن لى سبعة أشقاء تفتقدونهم، وسوف أعيدهم إليكما إن وافقتما على رحيلى للبحث عنهم، وباركتما طريقى.

وهكذا، اختلقت بوهدانكا هذا الحلم لتحاول الحصول على موافقة والديها، فقال المسكينان وقد أفزعتهما كلمات بوهدانكا:

ـ يا طفلتنا العزيزة الغالية، هل كتب علينا أن نفقدك أيضًا؟ وهل علينا أن نخسر آخر أسباب سعادتنا؟ لا..لا، لن نسمح لك أن تتركينا.

ـ وهل أترك إخوتى يموتون وقد علقوا علىَّ آمالهم؟ دعونى أذهب ولا تخشوا أن أموت فى العالم الكبير، فالحب سوف يقودنى ويحمينى من المخاطر فى كل درب أسلكه، وإنى على يقين أن سعادتكما سوف تكون بالغة، عندما أعيد إليكما أشقائى، وأعود سالمة إلى أحضانكما.

هكذا ظلت بوهدانكا ترجو وتلح على والديها، حتى وافقا أخيرًا تحت إلحاحها وتصميمها على رحيل الابنة، لكن الموافقة كانت مصحوبة بدموع حارة وقلوب منفطرة.

بدأت بوهدانكا تعد أغراض السفر، وبعد مرور بضعة أيام كانت مستعدة للرحلة، وعندما وقفت تودع والديها أعطتها الأم خاتمًا خلعته من يدها وقالت:

ـ سوف يتعرف عليكِ أبنائى عن طريق هذا الخاتم، فقد كان لعبتهم المفضلة عندما كنت أحملهم على قدمى.

ثم بارك الوالدان طفلتهما الوحيدة الغالية، وهما فى غاية الألم، وكذلك ودعتهما بوهدانكا بقلب باكٍ، لكن إرادتها القوية لم تضعف ولو للحظة، ومضت بعزيمة إلى العالم البعيد، دون مرافق أو حارس يحميها، فلم تحمل سوى الحب الأخوى الخالص فى قلبها الذى يمدها بالقوة.

سارت الفتاة طويلاً طويلاً دون أن تعرف شيئًا عن أشقائها، وفى إحدى المرات دخلت غابة كبيرة، وتاهت فى دروبها الكثيفة، وظلت تسير لوقت طويل حتى وجدت منزلاً فدخلته، وكان الجو بداخله رطبًا ومنعشًا، لكن المكان كان ساكنًا ومهجورًا، فجلست بوهدانكا فى انتظار ظهور أحد، وفجأة، انفتح الباب ودخل رجل شرس الهيئة، يزمجر بصوت مخيف وسألها:

ـــ ما الذى جاء بك إلى هنا؟ ومن أنت؟

كانت أنفاسه تخرج منه فى أثناء حديثه وتهز بوهدانكا بعنف، فوقفت الفتاة قائلة:

ـــ لا تغضب من حضورى يا سيدى، فإنى أبحث عن أشقائى السبعة، وقد ضللت الطريق فى هذه الغابة، ثم رأيت منزلك فدخلته، وأرجو أن تسمح لى بالبقاء هنا لبعض الوقت ريثما أستريح من عناء الطريق.

ـــ أنا الريح أعصف بكل من يقف فى طريقى، ولكنى سوف أتركك تستريحين لأن التعب يبدو عليك.

جلست بوهدانكا مرة أخرى وهى تفكر: "إذا كان هذا الرجل هو الريح، فمن الجائز أن يعرف شيئًا عن أخوتى"، وقررت أن تسأله عنهم، وبعد لحظة قالت له:

ـــ سيدى، إنى أسير فى العالم منذ وقت طويل بحثًا عن إخوتى السبعة، الذين تحولوا بفعل لعنة إلى غربان، فهل تعرف أين يمكن العثور عليهم؟

ـــ لا أستطيع أن أخبرك عنهم شيئًا، لكن أخى القمر قد يكون على علم بمكانهم، ولأنك فتاة طيبة فسوف أحملك إليه.

فرحت بوهدانكا بهذا العرض، وحملها الرجل الشرس بين ذراعيه، وقد فاحت من أنفاسه روائح عطرة، كما لو كان صدره ممتلئًا برحيق الأزهار.

كان القمر شابًا شاحبًا ذا شعر فضى، فسأل بوهدانكا بعد أن أحضرها له الريح:

ـــ ماذا تريدين منى؟

ـ سيدى، إنى أبحث عن سبعة أشقاء حولتهم اللعنة إلى غربان، وقد أخبرنى أخوك الريح أنك تعرف مكانهم، لذا أرجو أن تخبرنى عن هذا المكان.

ـ كنت أود أن أخبرك بمكانهم، غير أنى لا أعرف عنهم شيئًا، لكن أختى الشمس سوف تعطيكى الخبر اليقين، وإن أردت يمكننى حملك إليها.

لم يكن بوسع بوهدانكا أن ترفض عرض القمر، فسلمت نفسها بسعادة للشاب ذى الشعر الفضى الذى حملها بدوره إلى أخته الشمس.

كانت الشمس شابة ذهبية الشعر ذات وجه جميل، وعندما عرفت طلب بوهدانكا أجابت قائلة:

ـ أنا أعرف أين أشقاؤك، وسوف آخذك إليهم، لكن خذى أولاً قسطًا من الراحة، واستجمعى قواك بتناول العشاء.

بعد هذه الكلمات اضطرت بوهدانكا للجلوس وتناول العشاء، وكان عبارة عن دجاجة صغيرة، وبعد أن انتهت من تناول الطعام قالت الشمس لها:

ـ لا تتركى العظام أيتها الفتاة، بل اجمعيها وخذيها معك فسوف تفيدك.

أخذت بوهدانكا بنصيحة الشمس، وقامت بوضع العظام فى قطعة قماشية وربطتها، ثم خلدت إلى الراحة، وبعد أن بدأ الليل ينسحب من المكان، جاءت الشمس ومعها عربة ذهبية، فركبت فيها بوهدانكا، وانطلقت العربة تعبر الجبال والوديان، واستمرت الرحلة بضع ساعات، حتى وصلوا إلى واد مظلم تحيطه الصخور العالية من كل جانب، وكان عددها كبيرًا حتى لم يكن بالإمكان أن تحصيها، وهناك تركتها الشابة ذات الشعر الذهبى بعد أن ترجلت من العربة، وقالت لها:

ـ والآن عليكِ أن تكملي المهمة بنفسك.

واختفت الشابة في لمح البصر تاركة الفتاة بمفردها.

تلفتت بوهدانكا حولها، ونظرت إلى تلك الصخور العالية وإلى الوادي المقفر، فلم تعرف من أين تبدأ البحث عن إخوتها، ثم قالت لنفسها: "ربما يكونون فوق إحدى هذه الصخور، ولكن، كيف لي أن أصعد إلى هناك؟"، ثم أخذت تتسلق من صخرة لأخرى، حتى توقفت عند واحدة بدت لها الأسهل في الصعود، ثم قامت برفع تنورتها حتى تستطيع التسلق، مما جعل العظام تسقط من قطعة القماش، ويالعجب ما جرى!! فقد شكلت العظام درجًا يصل إلى قمة الصخرة.

بدأت بوهدانكا تصعد الدرج بلهفة حتى خطت بقدميها فوق آخر درجة، فوجدت نفسها داخل مغارة، وأدركت الفتاة من الوهلة الأولى أنها وجدت مسكن إخوتها، كان هناك سبعة أسرة، وفي الوسط طاولة معدة لسبعة أشخاص، كما كان هناك الكثير من الطعام، ورماد نار مشتعلة لم تخمد بعد، وفي الحال اختارت بوهدانكا ما تحتاج إليه، وبدأت في إعداد سبعة أنواع من الطعام، لكل أخ نوع مختلف عن الآخر، وبعد أن انتهت من الطهي، وضعت الطعام على الطاولة، ثم خلعت خاتم أمها من إصبعها، ووضعته أسفل الصحن الموضوع في أول مكان، حيث ظنت أن شقيقها الأكبر سيجلس هناك، وبعد أن انتهت من إعداد كل شيء، توارت خلف أحد الأسرة منتظرة وصول الإخوة، لم يمض وقت طويل حتى عاد الإخوة الغربان من الصيد، وهتف أحدهم:

ـ ما هذا الطعام الذي أراه على الطاولة؟ ومن الذي أعده؟

قال آخر:

ـ انظروا هنا يا إخوتى، يبدو أن هذا الطعام قد أعد خصيصًا لنا؛ فلكل منا طعامه المفضل.

ثم هتف أكبرهم بسعادة بعد أن رفع الطبق المقلوب، ووجد الخاتم أسفله:

ـ إخوتى، إخوتى، إن هذا الشخص من بيتنا، فهذا خاتم أمى الذى أعرفه جيدًا.

اقترح يروسلافيك قائلاً: فلنبحث عنه فى أرجاء المغارة.

وبعد هذه الكلمة بدأ الكل فى البحث، وفجأة شاهدوا بوهدانكا تقف خلفهم، فهتفوا يسألونها فى صوت واحد:

ـ من أنت؟

ـ أنا أختكم بوهدانكا، أحمل لكم التحية من أبى وأمى، وقد أعطتنى أمى خاتمها حتى تصدقونى.

صاح أحدهم: نحن نصدق أنك أختنا، فمن غيرك يتجرأ ويأتى إلينا؟

وفى الحال أعدوا لها مكانا بجانبهم حول الطاولة، وبعد أن جلست بينهم قصت عليهم كل ما حدث بعد اختفائهم، وعن إصرارها على الرحيل للبحث عنهم بمحض إرادتها، وبعد أن انتهت من سرد الأخبار، سألت أشقاءها عن الوسيلة التى يمكن أن تخلصهم بها من اللعنة، فقال أكبرهم:

ـ إنها مهمة صعبة للغاية وإن بدت لك سهلة، فإن أردت أن تحررينا يا أختاه عليك أن تحيكى لكل منا قميصًا من الكتان، لكن عليك أن تزرعى الكتان بنفسك، تبذريه، وتسقيه، ثم تجمعيه، وتعديه، وتغزليه، وتنسجيه بنفسك، وبعد ذلك تقومين

بتبييض القماش، وأخيرًا تحيكين منه القمصان، وفى أثناء كل هذا ينبغى ألا تنطقى بكلمة مهما حدث لك، فإن استطعت أن تفعلى هذا فسوف نتحرر من اللعنة.

أجابت الأخت الطيبة:

ـ ليس هذا بالشىء العسير، فإننى أجيد كل هذه الأعمال، والسكوت لن يكون صعبًا، إذا كان هذا السبيل لتحريركم.

بعد هذه الكلمات كاد الإخوة أن يقبلوا يدها عرفانًا بالجميل، وبعد تناول العشاء أعدوا لها الفراش، فخلدت سريعًا إلى النوم.

وفى صباح اليوم التالى، وبعد تناول الإفطار، أعطاها أحد الأشقاء صندوقًا صغيرًا به البذور، وقال لها:

ـ الآن يا أختى العزيزة ينبغى أن تتركينا، وإن أردت تحريرنا من اللعنة فخذى هذه البذور، وتعالى معنا لنريك مكانًا مناسبًا لزراعتها.

فعلت بوهدانكا ما قاله أخوها طواعية، فأخذت الصندوق وذهبت خلفهم، وعندما وصلوا إلى واد فسيح، أشار الإخوة إلى حقل لزراعة الكتان، وكوخ للإقامة، ثم ودعوها والحزن يعتريهم، وعادوا بعد ذلك إلى المغارة.

قامت بوهدانكا فى الحال بحرث الحقل وبذر البذور، ومضى وقت طويل ما بين بذر البذور ونمو الكتان، فكانت بوهدانكا تارة تتجول فى الوادى، وتارة أخرى تذهب إلى الغابة، كما كانت تقوم بتزيين الكوخ الذى تقيم فيه، ولم تكن مضطرة للبحث عن الطعام، فقد كانت دومًا تجد طعام الإفطار والغداء والعشاء بالكوخ كل يوم فى موعدهم، وعلى الرغم من معرفتها أن إخوتها هم من يأتون لها بالطعام، فإنها لم تر واحدًا منهم.

بدأ الكتان ينمو ويزدهر، وكانت بوهدانكا تقوم بريه بانتظام فى الأوقات المناسبة، وهكذا مضى الوقت سريعًا، وبدأت بجمع المحصول، وبعد ذلك، كان ينتظرها الكثير من العمل، فصارت تقوم بفرد الكتان وتقليبه وإعداده لمرحلة الغزل، أما بالنسبة للأدوات التى كانت بحاجة إليها، فقد كانت تجدها داخل الكوخ فى الوقت المناسب، وفى أثناء غزل الكتان تذكرت بوهدانكا والديها، وجلستها أمام المغزل مع أمها ودوروتا، كما تذكرت القصص المختلفة التى كان والدها يحكيها لها فى أثناء انشغالهما بالغزل، وأحيانا كان يتركهما وينهمك فى القراءة، ثم قالت بوهدانكا لنفسها:

"لا بد أنهما الآن يجلسان وحدهما يتذكرانى، ولعلهما يفكران فى مكانى، ويحلمان برؤيتى ثانية قبل أن يدركهما الموت، كم أود أن أنهى عملى اليوم قبل الغد، لكن هذا ليس ممكنًا، على أى حال سوف يمر الوقت سريعًا، ولن يسمح الرب أن يموتا قبل عودتنا جميعًا إليهما".

ثم أخذت تمسح بقطعة قماش دموعًا قد انهمرت على وجنتيها، وما إن أبعدتها عن عينيها، حتى رأت أمامها كلبًا يحوم حولها، ثم بدأ الكلب بالنباح، تلفتت الفتاة حولها بحثًا عن صاحب الكلب الذى قد يكون قريبًا، وشاهدت عربة تجرها الخيول تقترب قادمة من بعيد، فحاولت إبعاد الكلب عنها، لكنه رفض أن يبتعد وظل ينبح بصوتٍ عالٍ، كان فى العربة سيد شاب، وكان عائدًا من رحلة متجهًا إلى قصره، لكنه ضل الطريق، ووجد نفسه فى هذا الوادى، وعندما سمع نباح الكلب أرسل الحوذى كى يستطلع الأمر، وسار الحوذى حتى رأى بوهدانكا، فسألها عن هويتها وما تفعله فى هذا المكان، وعن الكوخ الذى تجلس فيه، لكن بوهدانكا هزت رأسها وهى تشير إلى فمها بأنها خرساء، وبعد هذه الإشارة عاد الحوذى إلى

سيده وأخبره بما رأى، ثم أضاف أن هذه الخرساء فتاة رائعة الجمال، فأمر السيد فى الحال الحوذى أن يسير بالعربة نحو الكوخ، وهناك قفز الشاب من العربة، واقترب من الفتاة التى أشارت للسيد بأنها لا تستطيع الكلام، لكنه لم يعط إشاراتها اهتمامًا، فقد عقد النية أن يأخذها معه بعد أن أعجب بجمالها، وعلى الفور أفصح عن نيته لبوهدانكا، فى البداية تملك الخوف من الفتاة، غير أنها سرعان ما تذكرت كلمات أشقائها، وأنها يجب أن تتحمل كل شيء فى صمت ومثابرة مهما حدث، لذلك استجابت لرغبة السيد، وهى مقتنعة بأن هذا الاختبار ضرورى لتحرير إخوتها.

فرح السيد كثيرًا أن الفتاة لم ترفض طلبه، وفهم معنى إشاراتها، فقام بوضع الكتان ولوازم الغزل والنسج فى العربة، وبعد أن جلس وجلست بوهدانكا فى العربة، ضرب الحوذى الخيل بالسوط فانطلقت بخطى منتظمة.

فى الطريق أرادت بوهدانكا أن تنظر إليه، فهى لم تتمعن فى ملامح وجهه من قبل، ولم تكد ترفع عينيها نحوه، حتى أنزلتهم مرة أخرى من وقع المفاجأة، فقد تقابلت عيناها مع عينيه الجميلتين، اللتين بدتا مثل شمسين، فلم تستطع النظر إلى أشعتهما.

وأخيرًا وصلا إلى القصر صامتين، فقد كانت الفتاة قادرة على الكلام، ولكنها ممنوعة منه، وكان مسموح للشاب بالكلام، ولكنه غير قادر عليه من فرط افتتانه بها.

نظر الخدم إلى بوهدانكا فى دهشة بعد أن نزلت من العربة مع السيد، وأمرهم الشاب أن يحملوا الكتان وباقى الأدوات إلى البيت، وبالداخل كانت فى استقبالهم سيدة القصر العجوز الأخت غير الشقيقة للسيد، فرحبت بهما من الظاهر وفى داخلها يعتزم حقد دفين، فقد كانت شخصية شريرة لا تحب مخلوقًا على ظهر

الأرض إلا نفسها، وفى المقابل لم يكن أحد يحبها باستثناء شقيقها الذى اتسم بحسن الخلق، وكان يحب أخته ويأتمنها على كل شىء، وكانت تعرف نقاط ضعفه، فكانت دائمًا تمتدحه على ثقته بها، وتركها تدبير كل أموره.

سارت الأمور مع بوهدانكا فى القصر على ما يرام، وكان السيد يريد أن يحقق لها كل ما ترغب فيه، وكل ما يخطر ببالها، وكانت تدرك جيدًا أنه يحبها، ولم يغضبها ذلك، وكيف يغضبها وقلبها غارق فى الحب نفسه الذى يحكم العالم؟ ومع ذلك، فهى لم تنس إخوتها للحظة واحدة، وكانت تواصل الغزل بجد ونشاط، وحتى عندما سألها معشوقها إن كانت تقبل الزواج منه لم تنطق بكلمة، وعلى أى حال فقد كان كل منهما يفهم الآخر دون كلام، لذلك عندما خرج العاشق من عندها كان فى قمة سعادته، وطلب من أخته أن تقيم التجهيزات لحفل الزفاف، لم ترحب الأخت أن يتزوج أخوها بفتاة مجهولة، فحاولت بشتى الطرق أن تثنيه عن عزمه، لكنها لم تفلح فى هذه المرة، وعندما تأكدت بعدم جدوى محاولاتها، وإصرار أخيها على موقفه قالت لنفسها:

"فليتزوجها، إن هذه الخرساء البسيطة على أى حال أفضل من أية فتاة أخرى من طبقته الغنية، فهى لن تفسد سيطرتى على القصر، ولن تجرؤ على الوقوف أمامى، ولو حدث العكس، فسوف أجد الطريقة التى أزيحها بها إلى الأبد".

هكذا كانت تفكر العجوز الشريرة ذات القلب الحقود، وفى الوقت نفسه صارت تتصنع السعادة والفرح، وهى تشرف على الإعداد لحفل الزواج.

اضطرت بوهدانكا أن تترك الغزل لبضعة أيام، وبدلاً من الكتان انشغلت بحلى الزفاف والتاج والترحيب بالضيوف و، و..إلى آخره.

تأقلمت الفتاة سريعًا مع كل شيء مهما كان جديدًا عليها وأتقنته، حتى إن زوجها نفسه لم يتخيل إلا أن تكون من أصل نبيل، كما اكتشفت مبكرًا حقيقة شقيقة زوجها، لكنها استطاعت أن تخفى شعورها هذا، وكانت تتعامل معها بود وترحاب، وأصبحت تدير معظم شئون القصر بنفسها، وكانت تفعل الخير للجميع أينما استطاعت، فشعر الخدم أن لديهم سيدة طيبة الخلق، وبدأ الجميع يمتدحها ويثنى عليها، وطلب منها زوجها أكثر من مرة ألا تبذل كل هذا المجهود فى الغزل لأنه أمر غير ضرورى، لكنها لم تأخذ بكلامه، ثم أشارت له أخيرًا بأنها سوف تصبح تعيسة ما لم يتركها راضيًا تقوم بما تفعله، ومنذ ذلك الوقت صارت تقوم بما تريد.

وبعدما انتهت من الغزل، بدأت تنسج فى غرفتها، ولم يكن هذا بالأمر الغريب، ففى ذلك الزمن كانت أرقى السيدات تقوم بكل أعمال المنزل، وبعد مرور بعض الوقت شعرت بوهدانكا أنها سوف تصبح أمًّا، مما جعل زوجها يحلق من فرط السعادة، فهو لم يتمن فى الدنيا شيئًا أكثر من ذلك الأمر، أما بوهدانكا فكانت لديها أمنية أخرى تحيا من أجلها، وكانت قد اقتربت من تحقيق أمنيتها الغالية، فقد انتهت من تبييض القماش، وبدأت فى حياكة القمصان.

لكن القصر كان يضم شخصًا آخر لم يسعده قدوم وريث صغير، وهو الأخت الشريرة للسيد، فقد امتلأ قلبها بالحقد والكراهية، وفكرت فى خطة شيطانية، فأخذت تتملق بوهدانكا، وتتودد إليها وتتقرب منها، حتى وثقت الفتاة بها وهى لا تدرك ما يدور بخلدها، وعندما اقترب موعد الولادة، تسلم السيد رسالة من أحد أصدقائه المقربين، يطلب منه المساعدة فى أمر مهم، مما يتطلب الذهاب إليه لبضعة أيام، لم يكن السيد ليترك زوجته فى هذا التوقيت، لكنه لم يستطع أن يرفض مساعدة صديقه، فأمر أخته أن ترسل إليه رسولاً سريعًا ما إن يطرأ جديد فى أمر

زوجته، ووعدته الأخت بدورها أن تولى بوهدانكا كل الرعاية والاهتمام، ورحل الأخ بعد أن ودع زوجته المحبوبة.

وبعد مضى ثلاثة أيام من رحيل الزوج وضعت بوهدانكا إبنًا، ولم يكن بجوارها أحد فى أثناء الولادة سوى أخت زوجها، وبمجرد خروج الطفل، قامت الأخت الشريرة بتكميم فمه، ثم لفته بالقماش وتركته أسفل النافذة، ووضعت بدلاً منه قطة صغيرة. أصيبت الأم بالذعر والحزن لما عرفت بالأمر، وشعرت بالطعنات تمزق قلبها من شدة الألم، لكن ماذا يمكنها القول؟ فلم يكن هناك أحد حاضرًا عند الولادة حتى يخبرها بالحقيقة. لذا اضطرت أن تلزم الصمت، على الرغم من شعورها بأنه من المحال أن يختبرها الرب على هذا النحو.

على الفور كتبت الأخت لشقيقها رسالة. ولم تكتف فيها بوصف الولادة التعسة لزوجته، بل اختلقت أيضًا كذبة فظيعة عن ظهور رجل غريب الهيئة أمام فراش الزوجة، وأنه قام بعناقها فانقلبت إلى امرأة قبيحة، وأخذت تحادثه بلغة غير مفهومة وهى تضحك وتهذى بكلمات عجيبة، ثم أخذت الأخت الحسود تذكِّره فى الرسالة بما يحكى عن الجنيات المتوحشات، وأضافت قائلة إن بوهدانكا ما هى إلا واحدة منهن، وإن كان لا يبغى التعاسة فى حياته فعليه أن يأمر بحرقها على الفور. كذلك كتبت رسالة قصيرة إلى صديق أخيها، تطلب منه أن يؤجل رحيل أخيها قدر المستطاع، كى لا يعود إلى زوجته الساحرة المتوحشة.

عندما تسلم زوج بوهدانكا الرسالة، أصابته حالة من الحزن والإحباط ولم يعرف ماذا عليه أن يفعل، وأخبره صديقه أنه لن يسمح له بالرحيل من عنده حتى يهدأ بالاً ويفيق من صدمته. وطلب الصديق من الرسول أن يعود أدراجه بعد أن

أعطاه رسالة للأخت كتبها بنفسه، وأطلعها فيها على حالة اليأس التى أصابت أخاها، كما وعد بألا يسمح له بالعودة فى وقت قريب.

فى هذه الأثناء، أشاعت الأخت فى القصر حكايات مرعبة عن زوجة أخيها. فأصاب الفزع الخدم، وصاروا يخشون الذهاب إليها، على الرغم من حبهم الشديد لها. وعندما جاء الرسول بالرسالة أعلنت الأخت الشريرة أنها من شقيقها، وأنه يطلب فيها بحرق الجنية المتوحشة فى الحال، حتى لا تجلب لهم مزيدا من التعاسة، وأصبح من الواجب تنفيذ هذا الأمر دون تأخير، فأعدت المحرقة فى لمح البصر.

فى هذا الوقت جلست بوهدانكا فى غرفتها شاحبة صامتة تبكى بدمع حار، وهى تحيك أكمام آخر القمصان السبعة، ولم يتبادر إلى ذهنها دسائس أخت زوجها الحقودة، ذلك على الرغم من شعورها بأن الأخت هى من قام بكل هذه الشرور. وفجأة دخلت الأخت إلى الحجرة، ونقلت للفتاة أوامر زوجها، وطلبت منها الاستعداد للموت حرقًا.

كانت بوهدانكا تعلم جيدًا أن تلك الأوامر ليست لزوجها، لكنها كانت عاجزة على أن تفعل شيئًا فى مواجهة الكم الغاضب من الناس، الذين تدافعوا داخل القصر لرؤية هذه الساحرة الملعونة. وبالإشارة أخذت ترجو الأخت الشريرة حتى تتركها تنهى قرابة سبع غرز لتكمل بها حياكة آخر جزء من الأكمام، لكن العجوز لم تسمح لها بذلك، فمضت الفتاة تطوى القمصان وترتبها الواحد فوق الآخر، وقالت وهى تتنهد بأسى: "لقد أنهيت واجبى نحوكم يا إخوتى المساكين، فأين أنتم الآن؟".

فى هذه اللحظة دوى صوت فرقعة هائلة، فتفرق الحضور من الخوف. وحط فى الحجرة سبعة غربان، يحملون على أجنحتهم طفلاً رائع الجمال، ثم وضعوه بين ذراعى بوهدانكا، وقال الأخ الأكبر:

ـ نحن هنا يا أختى الغالية، وقد جئنا لنرد لك جزءًا يسيرًا من صنيعك، والآن، ألقِ بسرعة على كل منا قميصه.

أمسكت الفتاة بالقمصان وهى فى قمة السعادة، وصارت تلقيها على إخوتها الواحد بعد الآخر. وفى الحال تحول الغربان إلى سبعة فتيان شجعان، ولكن بقيت سبع ريشات فوق كتف أصغرهم ياروسلافيك، ذلك لأن الأخت لم تستطع أن تنهى آخر سبع غرز.

بدأت الخيل تدق الأرض بحوافرها فى فناء القصر بسعادة وفرح. وبعد لحظة كانت بوهدانكا تحتضن زوجها، وتضع بين يديه ابنهما الناجى، وأخذ الزوج يقبلها فى حب وحنان، بعد أن حكى له أشقاؤها عن معاناتها فى سبيل تخليصهم من اللعنة. وفى غمرة السعادة والحديث الودود نسوا أمر الأخت الشريرة. لكن الخدم لم ينسوها، فقد كانت سيدة بغيضة تسومهم العذاب وتذيقهم الإهانات، وعندما عرفوا أنها السبب فيما جرى، بحثوا عنها حتى شاهدوها تحاول التسلل بين المتجمهرين كى تهرب من المكان، فأمسكوا بها من شعرها، وألقوا بها دون رحمة فى المحرقة حتى صارت رمادًا .

وعندما علم الأخ وزوجته بما حدث لها، تملك الخوف من بوهدانكا واقشعر بدنها، لكن الزوج قال لها:

ـ اشكرى الرب أنه قد خلصنا منها، فقد كتبت لى رسالة مخيفة كدت على إثرها أن أفقد عقلى، لكننى لم أفقد ثقتى بك للحظة واحدة، وعلى الرغم من محاولات صديق لمنعى من الرحيل، فإننى امتطيت فرسى وانطلقت به إليك، ومع ذلك فقد وصلت متأخرًا، ولو لم ينقذك إخوتك لفقدتك إلى الأبد.

قالت بوهدانكا وهى تقبل ابنها الجميل:

ـــ دعنا ننسَ كل ما جرى؛ فنحن الآن سعداء على الأرض.

ثم باع الزوج كل أملاكه، ورحل مع بوهدانكا وأشقائها إلى والديهما، وكم كانت سعادة الوالدين عندما عاد الأبناء المفقودون إلى البيت، بل ومعهم ابن جديد وحفيد جميل، وهذه سعادة لا يمكن وصفها، فماذا ينقصهم بعد؟

حدوتة عن منزل الحلوى



يحكى أنه كان هناك أب مسكين لديه ابن وابنة: "هونزتشك" و"ماروشكا". وكان يخرج إلى الغابة لتقطيع الأخشاب وجمع الحطب؛ لذلك لم يستطع أن يعتنى

بالأطفال، واضطر بعد موت أمهما أن يتزوج من امرأة أخرى لتكون أمًا لهما. لكن الزوجة الثانية كانت سيئة الخلق، فلم تحب الأب ولا الطفلين. وأصبح لدى الأب ما يشكو منه ويحزنه. وفى إحدى المرات ثارت زوجة الأب على الطفلين ثورة عارمة، حتى أنها أمرت الزوج أن يأخذ طفليه، ويتركهما بعيدًا عن البيت كى لا يعودا إليه ثانية. وعبثًا حاول الأب أن يثنيها عن قرارها، لكنها ظلت على عنادها، وذهبت محاولاته أدراج الرياح.

كان الأب يخشى غضب الزوجة الشريرة، فقال لطفليه بقلب حزين:

ــ ليأخذ كل منكما سلته، فسوف نذهب اليوم إلى الغابة لجمع الفراولة.

قفز الطفلان فرحًا. وفى الحال أحضر كل منهما سلته، وخرجا مع أبيهما إلى الغابة. وعندما أصبحوا فى عمق الغابة، أشار الأب إلى مساحة كبيرة مليئة بالفراولة حتى بدا كل شيء أحمر اللون، وقال لهما:

ــ اجمعا الفراولة من هنا يا أطفالى الأحباء، وسوف أذهب إلى مكان آخر كى أقطع الأخشاب، وسوف تعرفان مكانى من صوت الطرق بالبلطة على الخشب.

اندفع الطفلان نحو ثمار الفراولة يجمعانها، وذهب الأب بعيدًا عنهما، وربط بين الأشجار لوحًا خشبيًا، أخذ يرتطم بالأشجار كلما رجته الريح، محدثًا صوتًا كصوت تقطيع الخشب. وبعد أن خدع الطفلان بهذه الطريقة، عاد إلى البيت تاركهما بمفردهما فى الغابة. وامتلأت السلتان بالفراولة، فأكل الطفلان حتى الشبع، وصارا يفكران فى الذهاب إلى أبيهما. وذهبا إلى مصدر صوت ارتطام اللوح الخشبى بالأشجار، لكنهما لم يجدا الأب هناك، بل شاهدا لوحًا خشبيًا معلقًا يتأرجح بين الأشجار، فقال هونزتشك:

ــ أين يمكن أن يكون والدنا؟ لعله ذهب إلى البيت وتركنا هنا.

قالت ماروشكا:

ـ كيف تفكر على هذا النحو؟ إن والدنا موجود فى مكان ما بالقرب منا، ولا بد أنه قادم ليصحبنا معه، وكل ما علينا أن ننتظر هنا لبعض الوقت.

انتظر الطفلان طويلاً، ومر الوقت حثيثًا، ثم شرعا يأكلان ثانيةً من ثمار الفراولة حتى فرغت السلتان، فاضطرا أن يذهبا لجمع الثمار من جديد. وهكذا، مضى الوقت عليهما. وقبل أن يحل الظلام توقف صوت اللوح الخشبى، وشعر الطفلان بالضيق والخوف، فحمل كل منهما سلته، وذهبا يبحثان عن أبيهما.

سار الاثنان يناديان فى الغابة:

ـ إن الشمس تغرب، والمساء يقترب، فلنعد إلى البيت يا أبى.

لكنهما لم يسمعا أى رد لندائهما، فقالت ماروشكا وقد كانت أكبر وأذكى:

ـ الآن يا عزيزى هونزتشك يمكننى القول بأننا قد ضللنا الطريق، ولن نجد أبانا، وعلينا أن نقضى الليل هنا.

فقال هونزتشك: لكننى أشعر بالخوف.

ردت ماورشكا كى تخفف عنه:

ـ حسنًا، انتظر حتى أتسلق هذه الشجرة، وإن رأيت ضوءًا ما فسوف نسير فى اتجاهه.

وفى الحال تسلقت الشجرة وأخذت تنظر فى كل اتجاه، حتى رأت ضوءًا ضعيفًا ينبعث من بعيد، فهتفت من مكانها تطمئن هونزتشك كى لا يخاف. ثم نزلت من فوق الشجرة، وسارا فى الاتجاه الذى رأت منه الضوء.

سار الطفلان حتى خرجا من الغابة، فوجدا أمامهما حقلاً أخضر وفى هذا الحقل شاهدا منزلاً صغيرًا جميلاً. وكان هذا البيت مصنوعًا من الحلوى. فاقتربا من المنزل حتى صارا عند النافذة، وأخذا ينظران عبرها إلى الداخل، وشاهدا امرأة عجوزًا ورجلاً يجلسان، فقال هونزتشك:

ــ انتظرى، سوف أتسلق إلى السطح، وأقطع قطعة من الحلوى لنأكلها ونشبع جوعنا.

قالت ماروشكا خائفة: وماذا إن اكتشفوا أمرنا؟

لكن هونزتشك كان قد أصبح فوق السطح يقتطع منه أجزاء من الحلوى ويلقى بها إلى ماروشكا.

شعرت العجوز أن هناك من يقطع الحلوى، فأرسلت الرجل كى يلقى نظرة على الخارج. فخرج الرجل من المنزل، وصاح متسائلاً:

ــ من يأخذ الحلوى من على السطح؟

قالت ماروشكا بصوت رفيع وهى مختبئة تحت النافذة:

ــ لا أحد يا جدى، إنها الريح.

اقتنع الرجل بأنها الريح، وأكل الأطفال حتى شبعا، ثم تقوقعا جالسين تحت النافذة حتى راحا فى النوم.

وفى الصباح التالى تسلق هونزتشك مرة أخرى للحصول على قطعة من الحلوى، ومن جديد أرسلت العجوز الرجل لإلقاء نظرة، وحاولت ماروشكا أن تخدع الرجل ثانية، لكنه رآها فى هذه المرة، وأسرع ليخبر العجوز.

سمعت ماروشكا العجوز وهى تأمر الرجل أن يأتيها بهذين الطفلين كى تشويهما فى الفرن، فهتفت منادية هونزتشك:

ــ هيا يا هونزتشك، ينبغى أن نهرب من هنا وإلا ألحقا بنا الأذى.

قفز هونزتشك من فوق السطح، فأمسكت ماروشكا بيده، وانطلقا فارين بسرعة إلى حيث قادتهما أقدامهما، وكذلك أسرع الرجل من خلفهما يطاردهما. لكنه كان بدينًا بطيء الحركة، فلم يستطع اللحاق بهما،

لم يكن بمقدور الطفلين أن ينجحا فى الهرب، لو لم تظهر لهما فجأة امرأة فى حقل الكتان، واستنجدا بها قائلين:

ــ من فضلك يا أماه، أرشدينا عن طريق نسلكه، فالرجل الشرير من منزل الحلوى يطاردنا، ويريد أن يقوم بشوائنا فى الفرن، لأننا أخذنا من سقف المنزل قطعة صغيرة من الحلوى.

قالت المرأة وهى تشير الى الطريق:

ــ اذهبا إلى الغابة من هذا الطريق، وأنا سوف أضلل الرجل وأعطله، حتى لا يلحق بكما.

انطلق الطفلان يركضان فى الطريق، وبعد لحظة وصل الرجل وهو يلهث وسأل المرأة:

ــ ألم ترى طفلين يمران من هنا أيتها المرأة؟

أجابت المرأة وكأنها لم تفهم قوله:

ــ أنا أروى محصول الكتان.

ــ إنى أسألك أيتها المرأة، هل رأيت طفلين يمران من هنا؟

ـ بعد أن ينتهى الرى وينضج المحصول سوف نبدأ فى الحصاد على الفور.

ـ ألا تفهمين شيئًا أيتها الحمقاء؟ إننى أسأل عن طفلين مرا من هنا.

ـ بعد انتهاء الحصاد سوف نفصل البذور، ثم ننقع الكتان فى الماء.

ـ أيتها المرأة الغبية، ألا تدركين ما أقوله؟ ألم ترى طفلين يمران من هنا؟

ـ وبعد أن ينقع الكتان، سوف نفرده ونجففه فى الفرن.

ـ هل أنت صماء أيتها المرأة؟ أنى أسأل هل رأيت طفلين يمران من هنا؟

ـ بعد التجفيف يتم التجهيز، كى تبدأ مرحلة الغزل.

ـ أنا لا يعنينى كل ما تقولينه، بل أسألك هل رأيت طفلين يمران من هنا؟

ـ وبعد أن نقوم بغزل الخيوط الرفيعة الجميلة، سوف نلفها على بكرات.

ـ أخبرينى أيتها المرأة، هل رأيت طفلين يمران من هنا؟

ـ وبعد أن ننتهى من اللف، سوف ننسج أقمشة دقيقة رائعة الجمال.

ـ إننى لا أهتم بالقماش أيتها الحمقاء، أنا أسألك، هل رأيت طفلين يمران من هنا؟

ـ وبعد انتهاء الغزل سوف نبيض النسيج، وبعد انتهاء التبييض سوف نقص ونحيك منه القمصان، والتنانير، والستائر، والفساتين والسراويل.

ـ هل تجلسين على أذنيك أيتها المرأة البليدة؟ أنا أسأل، هل رأيت طفلين يمران من هنا؟

ـ وماذا سوف نفعل بكل هذا بعد ذلك؟ سوف نرتدى بالطبع الملابس الناصعة البياض.

ـ أتوسل إليك أن تخبرينى، أرجوك، ألم ترى طفلين يمران من هنا؟

وبعد أن تهترئ الثياب؟ سوف نمزقها ونلقى بها فى المدفأة، ثم نتدفأ على نارها، والنار سوف تتفرق على صورة دخان، والدخان سوف تذروه الرياح، وهذه هى نهاية حديثى لك؟ فلم يعد لدى ما أخبرك به.

ـ أيتها المرأة، أنا لم أسألك عن شيء من كل هذا، إنما سألتك إن كنتى قد رأيتى طفلين يمران من هنا؟

ـ طفلان؟ ولماذا لم تقل لى هذا من البداية؟ كيف لم أرهما، لقد شاهدتهما بالفعل، وقد سارا من هذا الطريق هناك، بمحاذاة الحقول فى اتجاه الترعة مباشرة، حيث تقع تلك الأكواخ.

كانت تقول هذا وهى تشير له فى الاتجاه المعاكس للطريق الذى أرسلت فيه الطفلين. وعرف الرجل هذا، فبصق غاضبًا والتفت عائدًا إلى البيت، وبعدما انصرف اختفت المرأة من الحقل، وعاد الطفلان إلى منزلهما.

المترجم فى سطور

عرابى عبد الرحمن الخميسى

ــ مواليد عام ١٩٥٧.
ــ درس الهندسة فى جامعة كارل فى جمهورية تشيكوسلوفاكيا.

ــ ترجم من التشيكية إلى العربية العديد من الدراسات والمقالات السياسية.

ــ عمل بالإخراج فى عشرات المسلسلات الدرامية التليفزيونية التى لاقت نجاحًا كبيرًا.

التصحيح اللغوى : عايدة زهران
الإشراف الفنى : حسن كامل